سليمان الحكيم

حوارات عن عبد الناصر



حوارات عن
عبد الناصر

سليمان الحكيم

مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : حوارات عن عبد الناصر

المؤلف : سليمان الحكيم

رقم الإيداع : ٢٠١١/٧٠٨٤

الطبعة الأولى ٢٠١١

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

عبد الناصر..

الفعل .. والفاعل!

يهتم التاريخ « بالفعل » .. وتهتم الصحافة « بالفاعل » !

وهذه – ولاشك – قسمة ظالمة .. فلا فعل بدون فاعل ، كما أنه لا فاعل بدون فعل

وفي كتاب « مصر » الذي يروي فصولًا من تاريخها الحديث ، نجد الكلام متواصلًا ، بل معادًا ومكررًا ، عن « الثورة » ولا كلام عن « الثائر » وكأنها كانت نبتا شيطانيا انشقت عنه الأرض تحت أقدامنا– فجأة وبدون مقدمات سابقة.

صحيح أن هناك كلامًا كثيرًا عن الظروف الموضوعية التي أدت إلى قيام الثورة ذات صباح من أيام شهر يوليو عام ١٩٥٢ ، ولكن هذه الظروف الموضوعية لم تكن جديدة على مصر ، فقد كان هناك الاحتلال ، والظلم ، والفساد ، والفقر ، والجهل ، والمرض ، منذ أن وضع الله « مصر » على خريطة العالم ، فما الذي حدث إذن لتقوم الثورة في هذا الوقت بالذات وعلى هذا النحو الذي جاءت عليه ؟

ثم أن بلادًا كثيرة قريبة منا وبعيدة – كانت تعاني من نفس الظروف ، وربما أكثر منها حدة ، ومع ذلك فإنها اختارت طرقا أخرى للتغير غير الثورة التي سلكتها مصر طريقًا نحو أهدافها في التغير.

فماذ يا ترى جعل مصر تسلك هذا الطريق ، وبهذه الطريقة ، ولم تسلكه غيرها من البلاد التي كانت تسير في نفس الاتجاه والوجهة ؟

لابد إذن من أن هناك – بالإضافة إلي الظروف الموضوعية ظروفًا « ذاتية » خاصة - هي التي وضعت أمامنا مثل هذه الاختلافات والفروق بين ما رأينا في مصر في هذه المرحلة بالذات وبين ما كنا نراه فيها في مراحل سابقة ، فضلًا عن الاختلافات والفرق بين ما رأيناه يحدث في مصر ، وبين ما رأيناه يحدث في بلاد أخرى.

هذا الظرف « الذاتي » يتلخص في كلمة واحدة هي « جمال عبد الناصر » .. لهذا كنت – ولا أزال – مؤمنًا بأنه لا يمكن فصل « الفعل » عن الفاعل » ، ولا « الثورة » عن الثائر » .. ولا « الموضوع » عن « الذات » .

ماذا لو أن عبد الناصر كان « باشا » ينحدر من أصول تركية أو شركسية – وما أكثر هؤلاء في الجيش المصري في ذلك الوقت ؟

ماذا لو كان عبد الناصر قد واصل دراسته في كلية الحقوق وتخرج منها محاميا أو حتى قاضيا في أفضل الأحوال؟

ماذا لو أنه مات في المظاهرات الطلابية التي شارك فيها طالبا عام ١٩٣٥ – وقد أصيب فيها بالفعل في جبهته .. أو على أفضل تقدير كان قد فقد إحدى عينيه ؟

ألا تعني الإجابة « بنعم » عن تلك الأسئلة ، أن أمورًا كثيرة في مصر والعالم كانت ستتغير ؟

هل كانت ثورة يوليو ستقوم . على هذا النحو الذي رأيناها عليه ؟

في يقيني أن « السيرة » تؤثر في «المسيرة» .. و« المسار » في « المعيار » أو المصير .

وعشرات العلماء في مجال علم النفس لا يخطئون حين يضع الواحد منهم في بؤرة اهتمامه التاريخ الخاص ، أو العائلي ، لواحد من المرضى يعاني من عقدة صغيرة مثل عقدة « الذنب » أو « الخوف » – فماذا لو كان الأمر متعلقًا بزعيم غير خريطة العالم من حوله ؟ ألا يكون جديرًا باهتمام أكبر ، خاصة إذا كان تاريخه « الخاص » أو « العائلي » سيساهم في علاج كثير من العقد التي تحدث عنها كثير من خصومه !!

لعل ذلك كان هو السبب في أنني أقدمت على إجراء هذه « الحوارات عن عبد الناصر ».. فقد كان هدفي من إجرائها أن أقدم المادة العلمية اللازمة لعلماء

التاريخ – وعلماء النفس أيضا – ليفهموا على ضوئها حقيقة التصرفات والخطوات التي اتخذها هذا « الثائر » في إطار الثورة التي خطط لها ونفذها .. لعلهم يجدون فيها تفسيرًا واضحًا– ومقنعا أيضا – لسلوك عبد الناصر ، بعد أن أعياهم البحث عن .. تفسيرات مبهمة . وتخريجات ملتوية. !

ولعلي قد وفقت .. والله الموافق

سليمان الحكيم

القاهرة / ٩٣

1

مصطفى عبد الناصر

- ❖ كان يفضل القماش المصري ... ولم يغير الترزي حتى مات
- ❖ أثاث بيت عبد الناصر عهدة ... وقع عليها بالاستلام
- ❖ بعد أربع سنوات من الزواج اشترى عبد الناصر ثلاجة تعمل بالجاز
- ❖ حسنى مبارك يمنع حسين عبد الناصر من دخول كلية الطيران بسبب خمسة جنيهات
- ❖ عبد الناصر يقيل شقيقه الليثي بسبب الإشاعات
- ❖ مصطفي عبد الناصر يحول للتحقيق لأنه ضرب لصا خطيرًا
- ❖ اعتماد خورشيد كذابة ... وهذه هي الأدلة
- ❖ كان حلم والدي أن يرى ابنه جمال «باشا»
- ❖ عرافة صعيدية تتنبأ بوصول جمال إلى حكم مصر
- ❖ قيمة الحق عند جمال أكبر من قيمة الوفاء
- ❖ أسماء أولاد جمال دليل حي على وفائه

يعتقد الكثيرون أن جمال عبد الناصر لم يكن شخصًا عاديا ، ولكنه في حقيقته كان كذلك فعلًا ..! ربما كان جمال عبد الناصر رئيسا فوق العادة ، وربما كان زعيما على غير طراز ، ولكن من المؤكد أنه كان إنسانا بسيطا ، ورجلا عاديا مثل ملايين الناس في مصر. كان « المش » والجبن والجرجير طعامه المفضل ، وهو طعام عمال « التراحيل » في يومهم.. وكان القميص والبنطلون هما رداءه المريح وهما رداء الطبقة المتوسطة في مصر والعالم وحينما أصبح رئيسًا للجمهورية لم يجد بيتا يجد فيه راحته غير بيت ناظر مدرسة سابق .. كانت البساطة ديدنه... فأصبح إمامًا للبسطاء وموئلهم.

يتحدث مصطفي عبد الناصر عن أخيه جمال لا ليمنحه شهادة بالبساطة ولكن ليقدم مشاهد عن بساطته المعروفة لكل البسطاء وغير البسطاء أيضًا !!.

كيف كان جمال عبد الناصر يحتفل بعيد ميلاده ؟

– لم يكن جمال يهتم بعيد ميلاده أو بإقامة حفل في هذه المناسبة ، وكنا نحن – أقصد أخواته وأبناءه – الذين نفعل ذلك دائمًا ، فقد كانت الفرصة أو المناسبة الوحيدة التي تجتمع فيه الأسرة كلها ، وكان جمال يعرف أن عيد ميلاده قد حان عندما كان يرانا جميعًا قد حضرنا إلى منزلة في وقت واحد .. ولم يكن جمال يدعو أحدًا من خارج الأسرة لحضور حفل عيد ميلاده حتى أم كلثوم كنا نحن الذين نقوم بدعوتها في هذه المناسبة ولم تكن تحضر للغناء بل كانت تحضر كصديقة للأسرة .. وكانت تشيع جو البهجة والمرح لما كان معروفا عنها من حب النكتة والفكاهة .. وكان حضورها يضفي على المناسبة جوا مريحًا ولذلك كنا حريصين على دعوتها.

وبعد النكسة كنا نحتفل بعيد ميلاده بدون حضوره معنا فقد كان مشغولًا جدًا في إعادة ترتيب الأوضاع من جديد . ولم يكن يقبل أن يحضر مناسبة سعيدة يفرح فيها بينما أبناؤه على الجبهة يتربص بهم الموت في كل حين ، وكان جمال يرفض تلقى الهدايا حتى

من أخواته ، ولم يكن يحب ذلك ، بينما كان يحب أن يهدينا في مناسباتنا السعيدة وقد أهداني أنا شخصيا تليفزيونا أبيض و أسود بمناسبة زواجي ، كما أهدى أخي الليثي سخانا و أهدى شقيقه عز العرب بمناسبة زواجه بوتاجازًا للمطبخ ، كان يرى أن تكون الهدية شيئًا نافعًا وضروريا . فقد كانت « إعانة » أكثر منها هدية.!

الشطرنج والتصوير

ماذا كانت هواياته المحببة إلى نفسه ؟

- كانت أوقات الفراغ في حياة جمال قليلة جدًا خاصة بعد قيام الثورة وتوليه رئاسة الجمهورية ، وقد كانت هواياته مناسبة جدًا لأوقات فراغه القليلة .. فقد كان هاويا للتصوير الفوتوغرافي و إصلاح كاميرات التصوير والأجهزة الكهربائية .. وكان يقرأ المجلات والكتب الأجنبية التي تتحدث عن فن التضوير أو إصلاح الأجهزة والمعدات.

وكان يهوى لعب الشطرنج خاصة مع ابنه خالد أما هوايته المفضلة فقد كانت القراءة في كتب التاريخ والمذكرات والصحف العالمية . ويستمع إلى الإذاعات خاصة نشرات الأخبار في المحطات العالمية.

وماذا كان يحب أن يأكل ؟ وما هو طعامه المفضل ؟

- لم يكن جمال يحب الأكل كثيرًا وكان يعمل بالمثل القائل « يجب أن نأكل لنعيش .. لا نعيش لنأكل » ولذلك لم يكن يميل إلى الموائد الفخمة ، ولم أر في منزله أبدًا مائدة فخمة إلا عند حضور ضيف مهم ، وكان يفضل « الجبنة البيضاء والجرجير » على أي طعام آخر ، لدرجة أنه كان يأخذه معه عند السفر إلى خارج البلاد .. وكان يحب « المش » جدا وهو طعام الفقراء في مصر . وكان يأتيه من البلد في الصعيد ، وأذكر أنني كنت آخذ معي شيئًا منه إلى الكلية الحربية بعد عودتي من أجازة نهاية الأسبوع

. وكنت أدخله خلسة فقد كان الأكل « الملكي » أو المدني ممنوعًا على طلبة الحربية وكان زملائي يتهافتون عليه خاصة في الأوقات التي كانوا يقدمون لنا فيها وجبات ليست « على المعدة »

وبعد إصابته بمرض السكر ، كان جمال مقلًا في أكله ، فلم يكن يتناول من الطعام أكثر مما يقيم أوده . ويعينه على المشي والحركة والتفكير.

اللبس من مصر

ماذا كان يحب من اللبس ؟

- لم يكن معروفا عن جمال عبد الناصر أنه يحب « الأناقة » إذ كان بسيطا في ملبسه، ويكره كل ما هو غريب أو غير مألوف وكان يحب أن يرتدى ملابسه من القماش المصري وقد ظل يفصل ملابسه عند ترزي معين في ميدان الأوبرا منذ أن كان ضابطا صغيرا في القوات المسلحة إلى أن مات . كان يحب أن يرتدى القميص والبنطلون خاصة في أيام الصيف . وكان يكره رباط العنق ، ولا يلبسه إلا مضطرًا ، وفي المناسبات الرسمية الهامة . وكان يفضل أربطه العنق المخططة وحينما كانت تأتيه أربطه عنق غير مخططة كان يعطيها لنا .

وفي غرفة المكتب كان يرتدى البيجامة والشبشب ، وفي ليالي الشتاء الباردة ، كان يلبس الروب بغرض التدفئة ، خاصة و أنه كان يسهر لساعة متأخرة من الليل

أثاث البيت عهده ميري

كيف كان مسكنه و أثاث منزله ؟

- كان جمال عبد الناصر يسكن شقة متواضعة في شارع جلال خلف محل «نجف» للفول والطعمية الآن في ميدان غمرة وقد كانت العمارة ملكا لوالد زوجته

تاجر السجاد بالقاهرة وكان أثاثها بسيطا جدًا ويكفي أن أقول لك أن جمال لم يشترى ثلاجة إلا بعد أربع سنوات من الزواج ، و أذكر أنها كانت ثلاجة سويدية تعمل بالكيروسين أو « الجاز » وقد اشتراها بعد أن عاد من حرب فلسطين !

وبعد الثورة عرضوا عليه أن يقيم في أحد القصور الملكية ، ولكنه رفض ذلك تماما وقال « أننا لم نغير ملكا بملك » وقد وقع رجال المراسم والبروتوكول في حرج ، فلا جمال أراد أن يقيم في قصر ولا هم رغبوا أن يقيم في شقته المتواضعة .

وقد وجدوا الحل في المنزل الذي كان يقيم فيه عبد العظيم درويش ناظر المدرسة الثانوية العسكرية ، وهو ملك للقوات المسلحة بجوار معسكر سلاح الإشارة بمنشية البكري وقد أعد المنزل وأجريت له بعض الترميمات وطليت جدرانه وانتقل جمال مع أسرته للإقامة في المنزل الجديد أو المجدد.

أما عن الأثاث . فلم يكن الأثاث بمنزله القديم صالحًا للاستعمال وقد تم تزويد المنزل الجديد بأثاث من إدارة الأشغال العسكرية بالقوات المسلحة تحمل كل قطعة فيه رقمًا ، فقد كان «عهدة » وقع جمال عبد الناصر على إيصال باستلامها!

وقد كان أثاثا بسيطًا جدًا وقد خصص جمال حجرة اسمها حجرة المسافرين كنا نقيم فيها عند حضورنا للزيارة وكان جمال يمتلك سيارة ماركة « أوستن » وهو ضابط وكان قد اشترها بمبلغ ٥٠٠ جنيه بعد عودته من فلسطين .. وحينما أصبح رئيسًا كان يركب سيارات من القوات المسلحة .. والسيارة الوحيدة التي امتلكها بعد ذلك كانت السيارة « الكاديلاك » التي أهداها له صديقه الرئيس الراحل جون كنيدي حين رآه يركب سيارة قديمة .

***

علاقته بإخوته

وماذا عن علاقته بكم قبل الرئاسة وبعدها ؟

-لم يختلف جمال في شيء بعد الرئاسة عما قبلها لقد ظل بالنسبة لنا الأخ الأكبر وظللنا بالنسبة له أخوته و أشقاءه.

كان جمال يعين والده الموظف الصغير بمصلحة البريد على تربية أخوته ولم يكن يبخل علينا بشيء رغم أعبائه الكثيرة ومرتبه البسيط فأنا على سبيل المثال كنت بمثابة ابنه البكر فقد كان يكبرني بسته عشر عامًا وقد تولى الصرف على أثناء دراستي القانونية وحتى تخرجي من الكلية الحربية وكنت أذهب إليه أول كل شهر لأحصل منه على مصروفي الشهري بالإضافة لاحتياجاتي المالية الأخرى .. وبعد أن أصبح رئيسًا كنت أذهب إلى سكرتيره محمود الجيار حسب تعليماته لأحصل منه على النقود التي أريدها ولم يكن مسموحًا لي بطلب نقود من غير محمود الجيار مدير مكتبه وكنت أحيانا أطلب فلوس من « الست تحية » فتعطيني .. و أذكر أن جمال أعطي لوالدي مبلغ ١٥٠ جنيهًا حين كان يستعد لأداء فريضة الحج وحينما عاد من رحلته أعاد جمال مبلغ ٤٠ جنيها كانت قد تبقت معه .. فلمنا الوالد على ذلك .. فقد كنا نحتاج لهذا المبلغ لبعض الضرورات .

ألم يختلف الحال بالنسبة لكم بعد أن أصبح أخوكم رئيسًا للجمهورية ؟

– لم يختلف الحال بالنسبة لأي منا بل على العكس لقد كان جمال يقف بالمرصاد لنا جميعا وقد حذرنا وكل أقاربه من شراء أو بيع أي شيء من الحكومة أو لها.. وقد كان على سبيل المثال عمه خليل تاجرًا وموظفًا في نفس الوقت بوزارة الأوقاف وقد فصل من وزارة الأوقاف لجمعه بين الوظيفة والعمل التجاري وأذكر أن عمه طه . وهو العم الذي يتولى فلاحة أرض العائلة « ببني مر » ذهب إلى ممدوح سالم حين

كان محافظًا لأسيوط و أبلغه برغبة الأهالي في تحسين أحوال القرية – ببني مر – وتحسين الخدمات بها .. وقد قام ممدوح سالم بإبلاغ جمال بطلب عمه طه فرد عليه جمال قائلا لا يجرى على بني مر أكثر مما يجرى على قرى أسيوط الأخرى ..وأن يعاملها كما يعامل بقية القرى الأخرى التابعة للمحافظة .. ولم ينصلح حال بني مر إلا بعد وفاة جمال عبد الناصر وفي إطار خطة كان قد وضعها للنهوض بالقرى المصرية في جميع أنحاء مصر ..أما عن بقية الأشقاء فقد كان عز العرب الأخ الأكبر مدرس لغة إنجليزية وكذلك الأخ الليثي والأخ شوقي قد ظل ثلاثتهم يعملون بالتدريس قبل وبعد تولي جمال رئاسة الجمهورية .. صحيح أنهم افتتحوا مدرسة خاصة ولكن مبنى المدرسة كان مؤجرًا ولم يكن ملكًا لأي منهم وقد بقيت المدرسة حتى الآن وهي من أشهر مدارس الإسكندرية في الانضباط ومن أوائل مدارس المحافظة في نتائج الشهادات العامة.

أما أخي حسين فقد دخل كلية الطيران وتخرج طيارا وحينما كان طالبا أعاده حسني مبارك رئيس أركان حرب الكلية آنذاك لأنه لم يحضر معه خمسة جنيهات كانت مطلوبة منه وعاد إلى محمد أحمد مدير مكتب الرئيس وطلب منه الجنيهات الخمسة ليتمكن من العودة إلى الكلية !!

وحينما تخرج عمل في القوات الجوية ولكن عبد الناصر أقاله ضمن من أقالهم من رجال المشير عبد الحكيم عامر بعد نكسة يونيو .. فقد كان حسين متزوجا من آمال ابنة المشير عبد الحكيم عامر وقد وجهت إليه تهمة العلم ببعض نواحي القصور في القوات الجوية ولم يبلغ عنها فانتقل ليعمل في وظيفة مدنية في مكتب مصر للطيران، أما أخي رفيق كان ضابطا بحريا ورأي نظرًا للمضايقات التي لاقاها بعد وفاة عبد الناصر أن يستقيل ويعمل في الحقل المدني .. أما أخي عادل فقد كان طالبًا في كلية الآداب

وسافر إلي النمسا مثل آلاف الشبان المصريين الذين يسافرون للعمل في الخارج ثم عاد ليكمل دراسته في كلية الآداب والأخ طارق كان ضابطا في القوات المسلحة . أما أنا فقد تخرجت من الكلية الحربية وعملت ضابطا في سلاح خفر السواحل بالإسكندرية ثم انتدبت لأعمل في أمن المصانع الحربية التابع للمخابرات الحربية وبعد وفاة عبد الناصر أحالني السادات إلى وظيفة مدنية بوزارة الحكم المحلى وكان مرتبي لا يزيد عن ٥٨ جنيهًا فقد كنت أدفع منها ١٥ جنيها قسطا للسيارة « الفولكس » التي اشتريتها بالتقسيط .. ولم يميز واحد من أشقاء عبد الناصر في حياته فقد كنا جميعا لا نحيد عن الحق الذي نعرف أن جمال هو أحرص الناس عليه كما كنا نراه إنسانا بسيطا في حياته يعيش كغيره من المصريين من الطبقة المتوسطة ولم يكن أي منا ينظر إلى أكثر مما في يده لأننا كنا نرى جمال نفسه على هذا النحو في مأكله وملبسه ومسكنه.

لم نعمل في التجارة ولم نستغل سلطة نتوهم أنها لنا وبالرغم من أني كنت ضابطا بالمخابرات .. بالرغم من كل ما قيل وما سوف يقال عن استغلال السلطة في جهاز المخابرات .. لم يرفع أحد ضدي دعوى ولم يتظلم مني أحد بحجة أنني استغليت سلطتي كضابط مخابرات أو شقيق عبد الناصر.

أذكر أنني في بداية عملي في خفر السواحل بميناء الإسكندرية قد تم القبض على لص بالميناء وبينما كنت أحقق معه إنهال على بالسباب والشتائم فخرجت عن طبيعتي الهادئة وضربته فأرسل أخوته سيلا من البرقيات إلى عبد الناصر فأوقفني عن العمل ثلاثة أيام أحلت خلالها للتحقيق وقد عدت إلى العمل بعد أن تبين لجهات التحقيق أن اللص الذي قبضت عليه وضربته هو من أرباب السوابق الذين اعتادوا إحداث إصابات بأنفسهم للخروج من التهمة والتحايل على القوانين .

وأيضا حدث أن بعض الناس بالإسكندرية أرسلوا لجمال بدعوى أن الليثي شقيقه الأكبر و أمين الاتحاد الاشتراكي بالإسكندرية في ذلك الوقت يسيء اختيار رجاله ومعاونيه و أن لمكتب الاتحاد الاشتراكي بالإسكندرية بعض الممارسات السيئة فما كان من جمال إلا أن أقال الليثي وعين مكانه عيسى شاهين الذي أصبح وزيرًا فيما بعد .

وذات مرة قمت بضرب أحد الجنود لأنه أخطا ولم أكن أعلم أن له قريبًا يعمل ضابطًا بالمخابرات ووصل الأمر لجمال فقام باستدعائي وعنفني لأنني ضربت العسكري ولم أحاكمه وفقا للتقاليد العسكرية

قصة الشيك المزور

بعد خروجك من مصر وذهابك إلى ليبيا كتب أنيس منصور يتهمك بأنك هربت من حكم عليك بسبب شيك بدون رصيد.

هذا والله شيء محير .. إذا كان لنا أرصدة بالبنوك قالوا .. فلوس الدولة ونحن سرقنا و إذا سافرنا قالوا هربوا بسبب الإفلاس .. هذه قصة مختلقة .. وقد قيلت ضمن الحملة الشرسة على جمال عبد الناصر ولم يحدث إطلاقا أنني تعاملت مع البنوك أو أعطيت شيكا لأحد أو وقعت على أوراق مالية غير فواتير استهلاك الكهرباء والمياه .. إذا اعتبرناها أوراقا مالية.

قال أنيس منصور أيضا أن والدكم كان يقبل يد ابنه جمال و أن جمال لم يكن يبدي مظاهر الاحترام لوالده ؟

- ماذا أقول لأنيس منصور وغيره ممن افتروا على جمال عبد الناصر .. ولم يكن جمال عبد الناصر يجرؤ على التدخين أمام والده حتى وهو رئيس للجمهورية ..

صحيح أنه لم يكن يقبل يد والده .. ولم يكن أي منا يفعل ذلك على أية حال فلم يعودنا والدنا على تقبيل يد أحد حتى ولو كان الأب ذاته .. لقد ربانا والدنا على مشاعر الاحترام والكرامة حتى أبناء جمال لم يكونوا يفعلون ذلك مع والدهم فكيف يقبل جمال بأن يفعل والده ذلك ؟ عندي رسالة من جمال إلى والده قبل الثورة بحوالي عام ونصف يقول جمال فيها والدي الحبيب عينت مدرسا بكلية أركان حرب وهو أقصى ما يمكن أن يطمح إليه ضابط بالجيش المصري واثق أنني لم أكن أهل لذلك بدون دعوتك ورضاك علي وهو ما أتمناه على الدوام .. إلى هذا الحد كان جمال حريصا على كسب رضا والده وقد كان بارًا به إلى أقصى حد وكان يرسل له سيارته الخاصة حين كان الوالد يبدى رغبته في زيارة جمال وهو ما لم يكن يحدث مع أي واحد منا . ويكفي أن أقول أن جمال كان قد أبدى رغبته في التقدم لخطبة إحدى الفتيات من أسرة « جميعي » العريقة ولكن والدي رفض ذلك لأنها كانت من أصل تركي فما كان من جمال إلا الرضوخ والطاعة أمام رفض الوالد رغم ثراء الخطيبة وجمالها وعراقة أسرتها .. ولقد كان جمال مثلا لطاعة الابن والحرص على كسب رضاه لقد فشل الأعداء في النيل من جمال عبد الناصر في المسائل العامة فلجأوا إلى المسائل العائلية والخاصة لكنهم سيفشلون حتمًا.

الدفاع عن عبد الناصر ..

دفاع عن المبادئ

في البداية ... كان يرفض الدفاع عن شقيقه جمال عبد الناصر ، مؤمنا أن الدفاع ليس مهمته أو مهمة أي فرد من الأسرة ، لأن جمال لم يكن زعيم قبيلة أو رب أسرة ولكنها مهمة الأمة التي كان جمال زعيمها وحريصا على تقدمها و ازدهارها . ولكنه حينما أصبح شخصيا – هدفا للهجوم نزل إلى الحلبة ، لا ليدافع عن نفسه أو حتى

عن شقيقه بل دفاعا عن التجربة والمبادئ التي هي الهدف للمدافع المصوبة نحوها.

وفي حديثه معي لم يسرد مصطفي عبد الناصر بعض الحوادث الشخصية ، أو الأسرار العائلية ، لأنه يؤمن أن ما يعتبر من أدق الخصوصيات لشخص عادي – هو من العموميات لشخص مثل جمال عبد الناصر .. الذي لم يكتف بتأميم الشركات والمصانع والمزارع والهيئات .. بل قام بتأميم حياته الخاصة .. فأصبحت ملكا للأمة !!

كان جمال في حياته الخاصة متسقًا مع الشعارات العامة التي يرفعها... فقد كان بيته الذي يسكن فيه ، ملكا للدولة حتى الكرسي الذي يجلس عليه كان ملكا للناس ، ولم يكن له فيه من الحق أكثر مما هو لأي شخص آخر في الجمهورية العربية المتحدة.

ولذا فإن الحديث عن جمال عبد الناصر في بيته ليس حديثًا خاصًا ، ولكنه حديث عام ..له من العمومية ما كان لجمال عبد الناصر ذاته.

كيف كان واقع خبر القيام بالثورة على أسرة جمال عبد الناصر ؟

-كنت مع والدي في البيت بالإسكندرية حين دخل علينا أحد الجيران و أخبرنا بأن الجيش قام بحركة تمرد ضد الملك ، فكان تعليق والدي « الحمد الله أن جمال بعيد عن الجيش » وكان جمال في هذه الفترة بعيدًا بالفعل عن التشكيلات الميدانية فكان في سلك التدريس مدرسا بكلية أركان حرب ، وحينما نشرت الصحف في صباح اليوم التالي صورة أعضاء مجلس قيادة الثورة- عرفنا أن جمال هو قائد التنظيم فكان تعليق والدي « تاني يا جمال» وكان والدي يقصد أن جمال كان قد فصل من المدرسة الثانوية بسبب عمله في السياسة ، وكان يخشى أن يفصل من الجيش أيضًا بسبب قيامه بحركة التمرد ضد الملك!

ومن الطريف أنني حملت نسخة الجريدة المنشورة بها صورة أعضاء مجلس الثورة

وتوجهت إلى القاهرة – وفي انتظار القطار قابلت شخصًا عرفته على الفور ، فقد كان ناظر المدرسة الثانوية التي فصل منها جمال بسبب اشتغاله بالسياسة وحينما هدد زملاؤه بحرق المدرسة اضطر الناظر لإعادة جمال قابلت هذا الشخص وقلت له تذكر طالبا كان عندك اسمه جمال عبد الناصر .. فقال أذكره طبعًا لقد كان مشاغبًا وعنيدًا ، فقلت له : هل تعرف أين هو الآن ؟ قال أين هو ؟ لابد و أنه الآن « صايع ومتشرد »!!

سكت ولم أشأ أن أحرج الرجل بذكر الحقيقة أمامه.

ألم يكن أحد منكم يعلم بموعد الثورة قبل قيامها ؟

– لا .. لم يكن أحد منا يعلم بموعد قيام الثورة .. والذي حدث أن جمال أعطي أخي الكبير الليثي مبلغ ثلاثين جنيهًا و أوصاه « بالعيال » لأنه خارج في « مأمورية» لا يعلم نتيجتها ، وحينما سأله الليثي عن طبيعة تلك المأمورية ، قال إنها من الأسرار العسكرية.

وقبل القيام بالثورة كنت أقيم معه بنفس الشقة وكنت ألاحظ وجود قنابل وأسلحة مخبأة تحت السرير وكنت أخاف أن أساله عن مصدرها ، وعرفت عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين ، فقد كان الاثنان أكثر الزائرين من زملاء عبد الناصر ترددا عليها ، وقد زارني جمال ومعه كمال حسين أثناء وجودي بالمدرسة الثانوية العسكرية ، وبعد قيامه بالثورة تغيب جمال عبد الناصر عن المنزل حيث كان مشغولا في قيادة الثورة – وقد حضر ثروت عكاشة إلى منزل جمال ليطمئن زوجته و أولاده.

لم تكن نعلم شيئا عن تنظيم الضباط الأحرار غير ما تردده الإشاعات في تلك الفترة ، فقد كان جمال حريصا على سرية التنظيم ولم يكن يميل إلى الاستعراض أو التفاخر.

عبد الناصر ليس واسطتي

وهل دخلت الكلية الحربية مترسما خطي عبد الناصر؟

- دخلت الكلية الحربية لأنه لم يكن أمامي غيرها فقد حصلت على الثانوية العسكرية من المدرسة الثانوية العسكرية التي دخلتها قبل الثورة ، وحينما دخلت الثانوية العسكرية لم يكن واسطتي جمال عبد الناصر ، بل كان اليوزباشي (النقيب) سعد الدين الشاذلي – الفريق الشاذلي فيما بعد – وذلك لأنه كان يسكن بجوار جمال قبل الثورة وكان صهرا لمدير الثانوية العسكرية . ولم يكن لجمال عبد الناصر أي تأثير على دراستي بالكلية الحربية ، فقد توقع على جزاءات كغيري من الزملاء . وحينما كان اللواء محمد فوزي مديرا للكلية الحربية كان الانضباط العسكري في قمته لدرجة أنه قام بترقية حارس البوابة الذي هدده بإطلاق الرصاص عليه إذا لم يذكر كلمة السر للدخول من بوابة الكلية . في كلية هو مديرها درست العلوم العسكرية . وحينما تخرجت عملت في السلاح الذي يتناسب مع مؤهلي .. فقد كانت الثانوية التي حصلت عليه ثانوية أدبية لم يطلبني جمال للعمل لجانبه ولم أطلب أنا ذلك.

اعترض على زواجي

هل كان جمال يهتم بشؤونكم بالرغم من كثرة مشاغله ؟

- لقد كان جمال قبل الثورة هو جمال بعد الثورة ، لم يتغير في شيء . فقد كان وظل دائم الاهتمام بشؤوننا – صغيرها و كبيرها – وأذكر أنني حينما أقدمت على الزواج – اخترت فتاة من أسرة اقطاعية – ولم أخترها لهذا السبب بل لأنها كانت جميلة ويتيمة الأم ، وكانت جارتنا بالإسكندرية . أي أنني أعرفها جيدًا – وفي يوم عقد القران أصر عم زوجتي على عقد القران في منزله ورفض جمال الحضور إلا إذا تم

عقد القران في بيت الوالد . وبالفعل تم ذلك ولكني استغربت موقف جمال .. حينما سألته عن السبب قال لي أن محمد أحمد – مدير مكتبه- كان يريدك لسبب هام . وذهبت لمحمد أحمد فأطلعني على ورقة صفراء قديمة كانت تتضمن كلاما عن أسرة زوجتي ، علمت منها أن جدها و أخوته من المشايخ الذين انضموا إلى الخديوي توفيق و أدانوا عرابي لثورته ضد الخديوي فمنحهم أربعة آلاف فدان مكافأة لهم على موقفهم المؤيد . وقال لي محمد أحمد إن هذا هو السبب الذي من أجله رفض جمال عقد القران في منزل أسرة زوجتي.

إلى هذا الحد كان جمال حريصا على رعاية شؤوننا و الاطمئنان علينا . المهم أن نظرة جمال إلى الأمر قد صدقت فيما بعد .. فبعد وفاة عبد الناصر وحدث الردة – طلب أهل زوجتي بعودة الإقطاع و أخذوا يتصرفون وكأن كل شيء قد انتهى ولذلك فقد حدث الانفصال بيني وبين زوجتي وهو ما حذرني جمال منه بسبب اختلاف الميول والجذور والأهداف.

العرافة الصعيدية

قلت أنك كنت تعيش في منزل جمال قبل الثورة وأنك كنت أقرب الأشقاء إليه ألم يحاول ضمك إلى التنظيم ؟

– لم يفاتحني جمال في أمر التنظيم أبدًا ، لا تلميحا أو تصريحا ولم يفاتح أحدًا من أشقائه في ذلك الأمر .. وربما لأن التنظيم كان قاصرًا على العسكريين فقط ولم يكن فيه جناح مدني ، رغم أني كنت طالبا في الثانوية العسكرية و أن مصيري العملي هو الانخراط في السلك العسكري إلا أن جمال لم يفاتحني في أمر التنظيم ، ربما إشفاقا منه على لصغر سني في ذلك الوقت ، وربما لأنه لم يشأ أن يصم التنظيم بشبهة العائلية .

كيف كانت صفاته الشخصية قبل الثورة وهل اختلف بعد نجاح الثورة؟

- كان جمال جادًا في حياته، ولم يكن متجهما، أو حادا، كان اجتماعيا وله الكثيرون من الأصدقاء الذين يتبادل معهم الحوار والنقاش. وكان يقرأ كثيرا ويذهب إلى السينما في أوقات فراغه، ويتبادل النكات مع أصدقائه في مرح ولكن الصفة التي تغلب عليه هي الجدية والعمق كان محترما من الجميع .. وزعيما منذ الصغر، كان زعيما في الأسرة، وكنا جميعا نناديه « س جمال » تعبيرا عن احترامنا له، وكان أبا آخر لكل أخوته الذين يكبرونه، وكان مثار فخرنا جميعًا، كذلك كان عطوفا ومتجاوبا مع كل مشكلاتنا ومشاركا في حلها. كان والدي يكثر من الدعاء لولده جمال ويقول ربنا يعيده لنا بالسلامة وأعيش لأراه باشا، كان جمال في ذلك الوقت في حرب فلسطين وكان من المعروف في هذه الفترة أن الضابط حين يصل إلى رتبة لواء يحصل على لقب « باشا » بدون إنعام ملكي .. وكان أقصى ما يتمناه والدي في ذلك الوقت أن يعيش إلي اليوم الذي يرى فيه جمال قد وصل إلى رتبة لواء وحصل على لقب باشا .. وحين قامت الثورة ألغي جمال الامتيازات الطبقية والألقاب ومنها بالطبع لقب « الباشا » الذي كان والدي يتمني أن يحصل عليه ابنه جمال .

زيارات عائلية

هل كان يجد الوقت ليقوم بزيارات عائلية لأهله بالإسكندرية أو الصعيد ؟

- كان جمال ودودا مع أهله جدا .. وظل يتحين الفرصة ليقوم بنفسه بزيارات لبني مر أو الإسكندرية والسؤال عن كل كبيرة وصغيرة في بيوتنا .. أذكر أنه حين رزقني الله بطفلتين توأم سألني جمال عن اسميهما فقلت له آمال ومنال « وكنت أكذب عليه مضطرًا لأنني أسميتهما نفين وشرين » حسب رغبة أمهما وكان جمال

لا يحب غير الأسماء العربية ولذلك اضطررت للكذب عليه حتى لا أغضبه .. وذات مرة كان يقوم بزيارة للصعيد حين تقدم منه رجل عرفه جمال على الفور فاستقبله معانقا كان الرجل هو « إمبابي» الذي كان يخدم معه جنديا قبل حرب فلسطين وسأله جمال عن أحواله كان جمال وفيا لكل معارفه و أصدقائه و أهله حتى أن بعض المؤرخين قال بأن الوفاء كان عقدة جمال عبد الناصر خاصة في علاقته بالمشير عبد الحكيم عامر الذي أطلق اسمه على أحد أبنائه ، كما أطلق اسم صديقه وزميله خالد محي الدين على ابنه البكر وعبد الحميد باسم شقيق زوجته الذي مات شابا قبل أن يتزوج فأطلق اسمه على ابنه الثاني تخليدا لذاكره .. وهكذا كأنه الوفاء عند جمال .. شيئا أكبر من مجرد الذكري .. وعدم النسيان .

– لكن لم يكن الوفاء عند جمال على حساب الحق فإذا خير بين الوفاء وبين الحق اختار الحق فمثلا حين قام جمال في بداية الثورة بحملة التطهير الشهيرة أقال زوج خالته الذي كان موظفًا في البلدية بالإسكندرية لأنه خالف أمانة الوظيفة كما أقال شقيقه الليثي من أمانة الاتحاد الاشتراكي بالإسكندرية لأنه يتحمل مسئولية اختياره لمساعديه الذين أساءوا التصرف .. ورفض أن يلتحق زوج شقيقتي بالكلية الحربية لأنه من أسرة طبقت عليها قوانين الإصلاح الزراعي .. ورفض أن يشتري عمه خليل منزلا من هيئة الأوقاف التابعة للحكومة لما في ذلك من شبهة تواطؤ أو مجاملة ورفض أن تدخل ابنته مني الجامعة الحكومية لأنها لم تحصل علي المجموع الذي يؤهلها لذلك، ورفض أن تنعم قريته « بني مر » ببعض الخدمات التي لا تنعم بها بقية القرى المصرية الأخرى وهكذا فإن الوفاء لم يكن نقطة ضعف عبد الناصر كما قال البعض فقد كان الحق لديه أعلى قيمة من أية صفة أخرى.

***

نحن والسادات

قيل أن أسرة عبد الناصر كانت ضحية ابنها جمال في حياته وضحية السادات بعد وفاته .. فما رأيك ؟

– لم نعول كثيرا على السلطة سواء أكانت في أيدينا أو في أيدي غيرنا فلم نأخذ ولم نحاول أن نأخذ شيئا ليس من حقنا فعلى سبيل المثال أشقائي الكبار كانوا مدرسين وظلوا مدرسين إلى أن ماتوا لم يأخذوا من الدولة شيئا ولم نكن ضحايا جمال عبد الناصر لسبب واحد أننا لم نطلب ما رفضه جمال ... لأن جمال نفسه كان مثالنا في الزهد والقناعة والرضا بما قسم الله .. أما أننا كنا ضحايا السادات فهذا صحيح فقد خرجت أنا من القوات المسلحة إلى وظيفة مدنية بمرتب ٥٨ جنيهات وكذلك أخي رفيق الذي كان ضابطا بالبحرية .. وجميعنا يبحث الآن عن لقمة العيش بعيدا عن مجال الحكومة وقد عوضنا الله بأبنائنا فقد تخرج جميعهم في الجامعات المصرية والغربية بتفوق وهم يعملون الآن بنجاح وتخصصاتهم... وقد حصلوا على شهاداتهم بالجهد والعرق وفي ظل الحملة الشرسة على جمال عبد الناصر أي أنهم لم يحصلوا عليها ولم يتفوقوا نتيجة مجاملة أو محاباة كما حدث مع غيرهم.

أنا واعتماد

يستغرب البعض موقفكم – أسرة عبد الناصر – من الحملة الضارية التي تتكرر بين الحين والحين .. ووقوفكم إزاءها موقفا سلبيا .. فما رأيك ..ولماذا ؟

– لماذا نحن الذين ندافع عن جمال عبد الناصر هل قام بالثورة من أجلنا نحن ؟ هل فعل ما فعله من أجلنا أم من أجل الشعب و أصحاب المصلحة الحقيقية في الثورة كما كان يسميهم.. لم نستفدْ من وجود جمال في السلطة أكثر من أي شخص

آخر .. وعليه فإننا لسنا وحدنا المطالبين بالدفاع عن جمال عبد الناصر فليدافع عنه الذين انتفعوا بثورته.

ليست الحرب ضد عبد الناصر حربا ضد شخص وليست من أجل تصفية حسابات شخصية .. ولكنها من أجل القضاء على التجربة والمبادئ ، ولذلك فإن المعني بالدفاع عن ذلك هم الناس الذين كان ولا يزال لهم مصلحة في تجربة ومبادئ جمال عبد الناصر ... لم يكن جمال زعيم قبيلة حتى تدافع عنه القبيلة بل كان زعيم أمة وشعب فليدافع عنه الشعب والأمة.. والحملة على جمال لن تنتهي إلا بانتهاء « الناصرية » المبادئ والتجربة وكان آخرها كتاب اعتماد خور شيد الذي ذكرت فيه أنني حاولت الانتحار من أجلها وأنني سافرت إلى سوريا هروبا من ذكرياتها... أنا أضع مثل هذه الادعاءات والافتراءات المفضوحة في إطارها الصحيح من الحملة الضارية على جمال عبد الناصر والتي تقودها المخابرات الأمريكية والإسرائيلية للنيل من جهاز المخابرات المصرية والتقليل من شأن انتصاراتها التي أحرزتها في مواجهتهم وقد اختارتني اعتماد خورشيد دون بقية أخوتي للتشهير بي لأنني الوحيد بينهم الذي كنت أعمل بجهاز المخابرات المصرية في تلك الفترة المزدهرة من تاريخها .. وبذلك تكون اعتماد إذا قد ضربت عصفورين بحجر وهما الإساءة إلى جهاز المخابرات والإساءة إلى جمال عبد الناصر ونسيت اعتماد خور شيد ومن وراءها أن ما ذكرته كذبا عني لا يصمد أمام الحقيقة بل أنها وقعت في عدة أخطاء تكشف زيف ادعاءاتها.

- فقد نشرت وثيقة مزيفة للزواج من صلاح نصر وقد كان اسمها فيها « اعتماد خورشيد » ونسيت أن الأسماء في الوثائق الرسمية لا تكتب بالشهرة ولكن يكتب فيها الاسم الرسمي من واقع شهادة الميلاد .. واسمها في شهادة الميلاد هو اعتماد عبد العزيز رشيد ... وليس اعتماد خور شيد الذي اكتسبته بالزواج من المصور

السينمائي أحمد خورشيد ، فكيف تتزوج رجلا وهي تحمل اسم رجل آخر ؟ ومن المأذون أو القاضي الذي يكتب اسم الشهرة وليس الاسم الرسمي من واقع شهادة الميلاد أو الهوية أو جواز السفر ؟

وقد ادعت السيدة اعتماد أنني حاولت الانتحار وتم إنقاذي في مستشفي المواساة بالإسكندرية وفات السيدة خورشيد أن دخول المستشفيات في مثل هذه الحالات الخطرة يتم تسجيله في سجل أحوال المستشفى أتحدى السيدة اعتماد ومن وراءها أن يقدموا دليلا على دخولي المستشفى المذكور أو أي مستشفي آخر غير مستشفي الدكتور مظهر عاشور الذي دخلته في عام ١٩٥٤ لاستئصال اللوزتين استعداد لدخول الكلية الحربية .. وهي المرة الوحيدة التي أدخل فيها مستشفى في حياتي.

.. وادعت السيدة اعتماد أنني ذهبت إلى سوريا للترويح عن نفسي بعد محاولة الانتحار و أنا لم أذهب إلى سوريا في حياتي حتى الآن بل ولم أخرج من مصر إلى بلد آخر في حياة عبد الناصر.

– وقالت السيدة اعتماد خور شيد أن زوجها حاول قتلها ولكن الحقيقة أنه حاول قتل ابنه أدهم لأنه كان يشك في بنوته فقد كان الولد أسود بينما هو تركي من أم ألبانية ... هذه هي السيدة التي جاءت الآن لتفتري على وعلى جمال عبد الناصر وتقول أنها قابلته وهي لم تقابل جمال في حياتها لسبب واحد هو أنه كان يعرفها جيدا .. لقد قالوا الكثير في حملتهم على جمال عبد الناصر ولكنهم فيما قالوه – وهو كثير جدًا لم يجرؤوا على ذكر شيء عن علاقات غير بريئة لجمال عبد الناصر وجاءوا الآن ليقولوا ذلك عني – ليدخلوا من هذا الباب إلى جمال عبد الناصر ولكنها محاولة مكشوفة سيكون مصيرها – ولاشك مصير ما سبقها من أكاذيب وافتراءات.

2

عايدة عبد الناصر

أخت عبد الناصر الوحيدة تتكلم:

❖ بسبب النكسة .. رفض عبد الناصر أن يحضر حفل زفافي

❖ فوجئنا – على البحر – بعبد الناصر وشكري القوتلي و حولهما الصحفيون

❖ طوال ٣٧ عام ظلت عايدة عبد الناصر رهينة المحبسين : الصمت والبيت

❖ الفرق بين أخوة السادات وأخوة عبد الناصر هو الفرق بين السادات نفسه وبين عبد الناصر

ودون جدوى حاولت إقناعها مرارا بالكلام وظلت محاولاتي عندها تقيد في قائمة الفشل فهي سعيدة بصمتها خريطة علية حيث تؤكد : ليس من حقي الدفاع عنه لمجرد أنني أخته الوحيدة لقد شرفني القدر بأخوته بالدم ، لكن هناك الكثيرين ممن تشرفوا بأخوته بالاختيار الحر – هؤلاء هم الأقدار على الدفاع عنه إذا سلمنا جدلا بأنه متهم.

قلت لها لكنك أنك ناصرية بالدم كما أنك ناصرية بالاختيار الحر

قالت : بالتأكيد ، قلت لها هذا يضاعف من التزامك بالكلام قالت إذا كان ولابد فبعيدا عن السياسة قلت لها كيف لا نتحدث في السياسة ونحن نتحدث مع أخت عبد الناصر ؟ وبدأ الحوار الذي فتحت به السيدة عايدة عبد الناصر قلبها للصحافة لأول مرة فخرجت من محبسها

متي بدأ وعيك يتفتح على أخيك جمال عبد الناصر ؟

- لقد تفتح وعي أخوتي على جمال عبد الناصر – الأخ الأكبر – وهو لا يزال ضابطا بالجيش أما أنا فقد بدأ وعيي يتفتح على « أبيه » جمال وهو رئيس للجمهورية كان ملء السمع والبصر في كل أنحاء الدنيا وقد كان في بيتنا الصغير كذلك أيضا لم يكن يمر يوم دون أن أسمع كلمة الريس في البيت أو المدرسة من أخواتي وأبي وأمي ممن يزوروننا أو نزورهم كان أسم الريس دائم التردد على مسامعي و أنا مازلت طفلة صغيرة وحينما تفتح وعيي ليستوعب جمال عبد الناصر استوعبه رئيسا ولم أختلف في ذلك عن بقية أخوتي الذين يكبرونني سنا ، فقد استوعبوه أيضا رئيسا قبل أن يتقلد منصبه رئيسا للجمهورية فكان هو الريس في البيت بما له من شخصية قوية وطبيعة مستقلة رصينة لم يكن مجرد أخ أكبر بل كان الأب الثاني في حضور والدي والأول في غيابه هكذا كان قبل أن أولد وكما كانت والدتي تحكي لي عنه.

كان أخوتي بحكم أنهم صبيان وبحكم كونهم كثيرين يتميزون بالشقاوة وكثرة الحركة وكانت أمي تتعب كثيرا لتهدئهم في غياب « أبيه » جمال الذي كان يعيد الانضباط والهدوء إلى البيت بمجرد حضوره كان يحب الهدوء والانضباط والتدقيق منذ صغره هكذا كانت أمي تقول لنا وحينما كبرت وجدته كذلك فعلًا.

لم أكن دلوعة البيت

أخوتك لرئيس الجمهورية هل كانت لها أية مميزات في المدرسة أو الحياة ؟

– على العكس من ذلك تماما لقد كان والدي شديد الصرامة معنا كان يلقننا على الدوام دروسا في كيفية التصرف مع الناس أو أمامهم حتى نبدو في الصورة التي تليق بأخوة رئيس الجمهورية « لا تضربوا أحد لا تشتموا أحد ممنوع الضحك . ممنوع الهزار الطاعة مطلوبة .. مطلوب الجد والاجتهاد .. احترام الناس » وهكذا أحيانا كان بعض المدرسين يقسون علينا ربما أكثر من غيرنا ممن الزملاء حتى لا يتهموا بالخوف أو الجبن و أحيانا كنا نرفض مساعدة المدرسين وهي حق لنا مثل بقية التلاميذ حتى لا تكون هناك شبهة المحاباة ولا أذيع سرا حينما أقول أن لي أخا رسب في الثانوية العامة وأعاد السنة و أخوه كان رئيسا للجمهورية لم يكن المدرس يضربني ليس خوفا من أخي بل لأنني لم أكن أفعل ما يستوجب الضرب و أذكر أن «أبيه » جمال اعترض على دخولي مدرسة الراهبات الفرنسية بينما ابنتاه هدي ومني في مدارس حكومية ولكنه وافق لسبب واحد أن المدرسة كانت بجوار البيت مباشرة لم أكن دلوعة لكوني البنت الوحيدة أو لكوني أخت رئيس الجمهورية فلا مكان للدلع بمعناه المعروف في أسرة عبد الناصر كان والدي يأخذنا بالجدية ولم يفرق بين ولد وبنت في هذا الصدد كنت البنت الوحيدة بين تسعة أولاد فلا مجال للدلع وسط هذا العدد الكبير من الأبناء.

هل لعب جمال عبد الناصرِ دورًا في حياتك الخاصة ؟

- بالتأكيد فحينما تكون أخا لرئيس الجمهورية ينتظر الناس منك تصرفات من نوع معين ذلك النوع الذي يليق بهذا الشرف فلم يكن مسموحا لنا بما هو مسموح لغيرنا من الأطفال في ذات السن وحينما كبرنا كنا قد اعتدنا على ذلك فلم نخرج عن الخط ولم نتمرد لأن ذلك أصبح جزءا من تكويننا ودخل في نسيج حياتنا على النحو طبيعي .

تزوجت دون حب

هل جربت الحب مثل بقية البنات في سنك ؟

- كان عمري حوالي ١٦ سنه حين تقدم لخطبتي شاب لأول مرة وقد رآه والدي مناسبا لي فذهب إلى أخي جمال ليفاتحه في الأمر فقال له « أبيه» لازالت عايدة صغيرة على الزواج ولكن والدي قال ما يقوله كل أب في سنه « أريد أن أطمئن عليها قبل أن أموت »!

وافق « أبيه » جمال ولكنه رفض حضور الفرح لأن البلد في تلك الأيام كانت تعيش أحزان النكسة وقال لأبي مبررًا عدم الحضور لو أن أحدًا من أبنائي كان مات في الحرب هل كنت تقبل أن تقيم حفلًا لزواج أخته قال أبي كلا بالطبع فقال « أبيه » جمال إن كل الذين ماتوا في الحرب هم بمثابة أبنائي فلن أحضر الفرح كما أنكم لن تقيموا فرحا أريده حفلا في أضيق الحدود ومقصورًا على الأهل فقط .. وقد كان ، وبعد الفرح ذهبت إليه أنا مع زوجي إلى منزله فقد كان مشغولا بسبب إعادة بناء القوات المسلحة استقبلنا و اعتذر لزوجي لعدم حضوره الفرح وقدرنا له ذلك وأكبرناه كثيرا.

هل شارك في تكاليف زواجك ؟

-لقد تحمل عبء التكاليف وحده فأنا أخته الوحيدة وكان أبي الثاني.

أبناء جمال أخوتي

كيف كانت علاقتك ببنات جمال « مني وهدي »؟

- كانت منى وهدى أكبر مني سنا أي أنني لم أكن في السن التي تسمح لي بأن أكون عمة لأيهما ولذلك كنا الثلاث أخوات وقد كانت مني لطبيعتها المرحة وقربها لي في السن أقرب إلى من هدي التي كانت تقرأ كثير وتميل إلى الجدية والصرامة أكثر كنت أراها كذلك ربما لأنها أكبر مني ولكنها كانت أختي مثل مني تماما والغريب أنني كنت ألعب و أنا طفلة مع حكيم وحميد (عبد الحكيم وعبد الحميد) أكثر مما كنت مع منى وهدي ولم أكن أعرف أطفالًا غيرهما ولذلك فلم أكن أعرف طفولتي إلا معهم.

متي غضب منك جمال عبد الناصر ؟

- لم يكن « أبيه » يغضب مني لأنني لم أكن طفلة شقية كنت هادئة نوعا ما فلم أكن أفعل ما يستوجب الغضب مني لم يحدث أن ضربني مرة ولم أره يضرب طفلا في حياتي وكان أقسي ما يمكن أن يقع منه من عقاب هو نظرة مجرد « نظرة عتاب » كان ذلك أقسي علقة يمكن أن نحصل عليها منه !!

أذكر ذات مرة أننا في المعمورة ذات صيف وخرجت من البحر بالمايوه أنا وواحد من أخوتي وكنا في الخامسة من العمر ودخلنا نجري إلى الاستراحة وفوجئنا بأبيه جمال يقف ومعه الرئيس شكري القوتلي و حولها الصحفيون فتسمرنا في أماكننا من هول المفاجأة ولم نستطع الحراك و أدرك أبيه ربكتنا فتقدم منا فيَ حنان وقال هه

آهيه حلوة استحميتم كويس فلم نرد فانحني ليقبلنا ثم قال لمن معه هل تعرفون من هذه البنت ومن هذا الولد ؟ هذه أختي وهذا أخي فنظر إلينا الحاضرون باندهاش وكأنهم يكتشفون شيئا جديدا في أسرة عبد الناصر

لم يكن يخرج عن طوره ولم يكن انفعاليا في ردود أفعاله..

هل كان يتذكرك في المواسم والأعياد أم أن مشاغله كانت تحول دون القيام بواجباته معك كأخ أكبر ؟

– نعم بالتأكيد كان « أبيه » جمال يعرف الواجب والأصول جيدا وحينما كانت مشاغله تمنعه من أداء الواجب كان يكلف أبناءه أو زوجته بالنيابة عنه وأذكر أنه أهدي لي أول « بسكليت » كما أنه أحضر لي عروسة حينما زار أمريكا ليخطب في الجمعية العامة وقد فرحت بها كثيرا ليس لأنه أحضر لي هدية بل لأنه تذكرني بالرغم من كثرة مسئولياته وعظم المهام الملقاة على عاتقه وحينما كبرت وتزوجت وأنجبت و أخذتني متاغل الحياة أتذكره وأتعجب كيف كان بالرغم من كثرة مشاغله ومسئولياته يقوم بواجباته العائلية تجاهنا ونحن رغم قلة مشاغلنا بالقياس لمشاغله كنا سنعذره لو أنه أعتذر عن الحضور ولكنه لم يكن يفعل ذلك ، كان حريصا وعلى الدوام على أداء واجباته والقيام بمسئولياته تجاهنا كان دائم السؤال عنا وعن أحوالنا وأبنائنا يتذكرهم بالاسم وفي أية سنة دراسية وعن أحوالهم في الدراسة وهكذا.

هل كان بيت عبد الناصر بيتا صعيديا أم بيتا عصريا ؟

– لا أعرف ما هو البيت الصعيدي وما هو البيت العصري ولكني تربيت على التقاليد والأصول واحترام القيم هل كان ذلك صعيدية أو عصرية ؟ لا أعرف كل ما أعرفه أن الأصول في بيتنا كانت محترمة وملزمة إلى أقصى حد كان والدي يقرأ القرآن ويداوم على أداء الصلاة في أوقاتها ويحرص على أن نؤديها نحن أيضا وهذا لا

يمنع من أننا كنا نخرج للفسحة والترويح عن أنفسنا وبالنسبة لي لم أكن أخرج بمفردي كنت دائما في صحبة واحد من أشقائي جميعًا لم نكن نسهر خارج المنزل ولم نكن نسهر حتى بالمنزل لغير غرض المذاكرة أو الدرس ولم نكن نتمرد على هذا النمط من الحياة لأننا لم نكن نعرف غيره ولم نكن نختلف في ذلك عن أية أسرة مصرية أخرى كنا نعرفها ونقيم معها علاقات اجتماعية كنا مجرد أسرة مصرية مثل الآلاف من الأسر المصرية الأخرى.

كان يتكلم بعينيه أكثر

هل ترين فرقا بين « أبيه » جمال وبقية أخوتك ؟

– كان رحمه الله غير أي أخ من أخوتي كان مثالا لكل صفة فاضلة ليس لأنه الرئيس جمال عبد الناصر كان مختلفا بل كان مختلفا حتى قبل أن يصّير رئيسا حسبما كنت أسمع من أبي وأمي و أخوتي الذين يكبرونني في العمر كان أبا و أخا وصديقا وكان رئيسا في أي مجتمع يدخل فيه كانت طبيعته هكذا تؤهله لأن يكون « الكبير » دائما حتى وهو لا يزال تلميذا في المدرسة كان الكبير بين الصغار وكان الكبير بين الكبار كان منظما ودقيقا في عمله ويحسب لكل شيء حسابه ويضع كل شيء في مكانه يتكلم حينما يجب أن يتكلم ويصمت حينما يجب أن يصمت وكان يستخدم نظراته كنوع من الكلام والتعبير عما يريد في أحيان كثيرة كانت عيناه أقدر على التعبير عما يريد من لسانه كان شخصية مختلفة فكان أخا مختلفا كان مميزا كأخ لأنه كان مميزا كطبيعة وتكوين.

ما هو الفرق في نظرك بين أخوة السادات وأخوة عبد الناصر ؟

هذا سؤال في صميم السياسة .. قلت لها : « لك الحق في عدم الرد عليه ».

– الفرق بين أخوة السادات و أخوة عبد الناصر هو الفرق بين السادات نفسه

وبين عبد الناصر في رأيي أنه فرق في الظروف والمناخ لقد كنا نلبس أحذية شعبية من باتا وكنا قانعين لأننا لمن نكن نعرف غيرها كنا نرتدي لبسنا من الصناعة المصرية وتركب سيارة صناعة مصرية وكنا راضين بحياتنا لأننا كنا نرى القدوة مثلنا تماما فلم يكن يحق لنا أكثر مما له من حق لم يكن أحد من الشعب يطلب أكثر من ذلك لأن رئيس الجمهورية واجهة الوطن وممثله كان ذلك ، أي أحد كان يلبس مثل رئيس الجمهورية وليس رئيس الجمهورية هو الذي كان يلبس مثل أي أحد كان الهدف واحدًا والطريق واحدًا والجميع كانوا شخصًا واحدًا ثم تغيرت الظروف وتغير المناخ فتغير الناس.

كنت عضوًا بمنظمة الشباب فهل كان ذلك لأنك أخت رئيس الجمهورية أم لأنك مواطنة مقتنعة بفكر الثورة ؟

- حينما كبرت ودخلت في تعاملات اجتماعية مع الناس بدأت أدخل طرفا في مناقشات حول السياسات العامة للبلد ووجدت نفسي مضطرةً للقراءة والاطلاع حتى أتمكن من الإجابة عن بعض الأسئلة والاستفسارات التي أجد نفسي أمامها مع الناس ودخلت منظمة الشباب وأنا في الخامسة عشرة من عمري لأمنهج قراءاتي و أحددها درست الميثاق ومواثيق الثورة وشاركت في حلقات دراسية ووجدت نفسي أمام بعض الأسئلة بالإضافة إلى بعض التساؤلات التي كان يطرحها زملائي و أساتذتي بالمنظمة ونقلت كل ذلك إلى الريس لأناقشه فيها كان يناقش بصدر مفتوح ويعترف ببعض الأخطاء ويرجعها إلى أسبابها الحقيقية لم يكن متزمتا أو ديكتاتورًا لأنه يعلم أنه بشر وأن التجربة يمارسها البشر فهي قابلة للصواب والخطأ كان حريصا على استمرار الصواب وحريصا على التراجع عن الخطأ إذا ثبت وقوعه فعلًا.

لا وقت للسياسة

لماذا لا تعملين بالسياسة الآن ؟

- أنا أحرص دائما على سماع الأخبار وقراءتها ومتابعة الشئون السياسية والاجتماعية عبر أجهزة الإعلام ليكون لي رأيي في الأحداث من حولي أما أن أشارك فيها بالانخراط في العمل السياسي فهذا ما لا تسمح به الظروف وكوني أختا لجمال عبد الناصر لا يعطيني الحق في العمل السياسي لمجرد أنني نشأت في بيت عبد الناصر.

* ولكن ليس كل المشاركات في العمل السياسي كن أخوات رؤساء أو وزراء!

لكل شخص ظروفه التي تسمح أو لا تسمح له بالعمل والمشاركة في الحقل السياسي والذي يمنعني من العمل في الحقل السياسي هو ظروفي الخاصة فأنا زوجة وأم سيدة أعمال أري أن بعض المشروعات الاقتصادية التي أقوم بها ولو أنها صغيرة ومحددة إلا أنها تخدم وتساهم بشكل محدد جدا في حل بعض المشكلات الاقتصادية التي تعاني منها الناس وفي هذا الإطار المحدود أحاول ممارسة السياسة وخارجية في المجال الأوسع لا أستطيع بحكم ظروفي .

لماذا لا تشاركين في العمل الاجتماعي بديلا عن العمل السياسي ؟

- العمل في مجال الاقتصادي هو الوجه الأهم لأي عمل اجتماعي وعملي في مجال الاقتصاد أتصور أنه عمل اجتماعي أري نفسي مؤهلة بحكم ظروفي وإمكانياتي للقيام به على خير وجه.

أنا والحزب الناصري

في حالة قيام الحزب الناصري هل تنضمين إليه ؟

- العمل الحزبي تكليف وليس تشريف وحينما أكون متأكدة من قدرتي على

العطاء للحزب سوف أنضم إليه أما أن أنضم ولا أعمل لمجرد إشباع الرغبة في الظهور فهذا ما لا أقبله .. السياسة بالنسبة لي عمل وليست أقوالا وشعارات وحينما أكون قادرة على العمل سوف أنضم للحزب الناصري أو أي حزب يعبر برنامجه عن تطلعاتي و أحلامي للناس وللشعب .

هل تتأثر علاقاتك الاجتماعية أو عملك الاقتصادي بكونك أخت عبد الناصر ؟

– على العكس أنا أفرق دائما بين عملي الخاص وبين حياتي السياسية أو آرائي ومعتقداتي.

لن أتعامل مع الإسرائيليين

هل تقبلين التعامل مع الإسرائيليين مثلا ؟

– هذا أمر مختلف بالقطع لا أقبل التعامل مع أي نوع من الإسرائيليين ولكن ما أردت أن أقوله أنني أتعامل مع السوق بمنطق السوق وليس بمنطق السياسة فكما أنني أرفض التعامل مع السياسة بمنطق السوق فإنني أرفض التعامل في السوق بمنطق السياسة .. هذان مجالان مختلفان لكل مجال منهما لغته الخاصة فأنا مثلا لي أصدقاء كثيرون من حزب الوفد أو ممن أضيروا بإجراءات ثورة يوليو والغريب أنهم جميعا رغم ضررهم المؤكد وخسارتهم مقتنعون بزعامة جمال عبد الناصر وعظم حجمه وتأثيره .

ما هو رأيك فيما هو منسوب للدكتور خالد عبد الناصر من اتهامات في ثورة مصر ؟

– الدكتور خالد وكل أبناء جمال عبد الناصر تربوا على القيم والمبادئ ومراعاة « مصلحة الوطن فوق مصلحة الأفراد » وخالد ليس شخصًا عاديا فهو دكتور مهندس تعلم في إنجلترا وتربي في بيت جمال عبد الناصر وهو أقدر على التميز بين ما هو في مصلحة الوطن وما هو في غير مصلحته.

3

سلطان حسين

الحاج سلطان حسين « عم جمال عبد الناصر »:

❖ كان يتسامح مع بعض الظالمين من غيرنا أما نحن فلم يكن يتسامح مع ظالم منا .. إذا حدث وتجرأ على الظلم.

❖ ذات يوم أصدر جمال أمرا باعتقال خاله بسبب ظلم وقع منه في حق أحد معارفه

❖ لقد كان حلما أسطوريا .. وحين جاء ليقضى على الظلم بدأ بأهله.

❖ حاول أحد الفلاحين أن يقبل يد جمال التي سلمته عقد الملكية ، فسحب جمال يده وقال للرجل قولته الشهيرة « ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد ».

حينما سألت عن بيته بأحد شوارع الإسكندرية أشار الشاب الواقف أمامي إلى عمارة قديمة ، وقال : هناك سألته أين بالضبط ؟ قال فوق السطوح!!

سلطان حسين .. عم جمال عبد الناصر يسكن فوق السطوح!

لم أتعجب لأنه يسكن فوق السطوح .. فالرجل على أية حال هو عم الرئيس الذي اشتهر بالطهارة والزهد ، وأعطى ظهره لكل مظاهر الدنيا .. ولكن تعجبت لأنه تجاوز السبعين من عمره ويستطيع ارتقاء درجات السلم الطويل حتى الطابق السادس..

لو عاش جمال عبد الناصر حتى الآن لكان قد تجاوز السبعين من عمره ولكنه لم يكن يستطيع بعد أن تجاوز الأربعين ، أن يرتقي درجات السلم في بيته المكون من طابقين فقط ..

في البداية تصورت أن اسمه سلطان حسين .. جاء على اسم سلطان مصر السابق ، السلطان حسين كامل ، وحين سألته ..

قال:

- سلطان على أسم جدي : خليل سلطان ، وبذلك يكون الاسم الكامل لابن شقيقي جمال هو جمال عبد الناصر حسين سلطان رمضان ، تنتمي عائلتنا إلي قبيلة « تميم » العربية وهكذا .. لم يكن خيار جمال عبد الناصر العربي مجرد صدفة ، ولم يكن للصدفة في خيارات عبد الناصر كلها أي وجود.

سألته :

كيف تستطيع الصعود إلى هنا ؟

قال:

- إذا لم أستطع الصعود إلى هنا فسوف أنام في الشارع .. والصعود إلى هنا ..

وأعلى من هنا أسهل كثيرا من النوم على الرصيف!.

يروي العم سلطان قصة جمال عبد الناصر .. في البداية سألته :

لماذا كان اسمه جمال ؟ يقيني أن قاموس الأسماء في الصعيد كان يخلو – حتى عهد قريب – من هذه الأسماء « المودرن » : عز العرب ، الليثي ، شوقي .. كلها أسماء مما اعتاد الصعايده تسمية أبنائهم بها ، ولهذا تردد على ذهني السؤال لماذا جمال ؟

قال العم سلطان :

– إن اسم « جمال » قصة تروى .. فقد كان لي شقيق اسمه عبد الباسط .. قتله الإنجليز في السلوم على الحدود الليبية ، وكان عمره يوم استشهاده حوالي ٢٢ سنة وحينما جاءنا خبر استشهاده جاءنا خبر ميلاد طفل جديد .. الطفل الأول لشقيقي الأكبر عبد الناصر فقال والدي « اليوم سقط لنا جمل » فقال أخي عبد الناصر : ولكن ولد لنا جمل آخر .. فأطلق عليه والدي اسم جمال في تلك اللحظة.

وهكذا عقد الموت قرانه على الحياة لحظة ميلاد جمال عبد الناصر لقد جاء إلى الحياة بدلا من عمه الشهيد الذي ذهب إلى مملكة الموت في ذات اللحظة.

و إذا كان الإنجليز قد اغتالوا عمه .. لحظة ميلاده ، فقد أقدم جمال – حين كبر – فأخذ بثأر عمه الشهيد ، فاغتال الإمبرطورية البريطانية كلها !

لم يكن ثأر شخصيا ، ولكنها لعبة القدر الذي شاء أن تكون هكذا..

إن أول ما يميز جمال عبد الناصر هو العناد وقد جاء إلى الحياة عنادا .. وحمل أسمه عنادا .. وحينما مات كان الملايين من أطفال أمة العرب يحملون اسمه .. عنادا أيضًا .

كان جملا .. أول ما يميز الجمل من صفات .. هو الصبر .. فكان صبورا في

حياته وصبورا بعد أن مات .. تحمل الكثير في حياته فصبر ، وتحمل الكثير بعد أن مات فصمد !

نبوءة .. الجد

يقول العم سلطان :

حينما كان جمال في « منقباد » بأسيوط ذهب إليه جده حسين ، وقف أمام باب المعسكر راكبا حماره ، وهو يحمل حلة أعد فيها طبخة صعيدية اسمها « القدسية » وحين رآه جمال حمله من فوق الحمار وأدخله الخيمة داخل المعسكر ، تجمع زملاؤه من الضباط .. وكان بينهم كمال حسين وعبد الحكيم عامر وأنور السادات .. انهالوا على الحلة وأتوا على كل ما فيها ، وفي نهاية زيارته طلب الجد من حفيده أن يزوره مع زملائه في « بني مر » القريبة من معسكرهم.

وبالفعل قام جمال وفي صحبته عدد من زملائه الضباط بزيارة الجد حسين في بني مر .. فاحتفي بهم الرجل العجوز احتفاءً يتناسب مع قدر إحساسه بالفخر به أمام أهل القرية كلهم وفي نهاية الزيارة طلب جمال من جده أن يدعو له فخلع الرجل طاقيته ورفع يديه إلى السماء قائلًا :

« إلهي تعيش وتحكم بر مصر ».

كان عمدة القرية – بنى مر – دائم السؤال عن جمال ، وكان يقول للجد ، إن جمال سوف يصبح ذا شأن كبير فيرد الجد على العمدة « سوف يحكم بر مصر » .. يضحك العمدة ويقول للجد مازحا : لا تكن طماعا .. سيكون عظيما لو حكم مديرية من ١٢ مديرية !!

***

المستبد العادل

كان الإمام محمد عبده ، هو أول من نادى في العصر الحديث بضرورة « المستبد العادل» لينصلح حال العباد في « قطر مصر » وقد تبني الإخوان المسلمون بعد الشيخ الإمام فكرة « المستبد العادل » و أخذوا ينادون بها في الأوساط السياسية في مصر وفي الصحف التي تعبر عن أفكارهم.

وحين جاء جمال عبد الناصر .. بالرغم من كل خلافه مع الإخوان ، حاول أن يكون الرجل « المستبد العادل » .. يروى العم سلطان حكايات حول رجل كان مستبدا .. حين يعدل .. وكان عادلا حين يستبد .

كنت أعمل في تجارة الفحم بالإسكندرية ، ولكن تدهور بي الحال ، لكساد تجارتي فطلبت من أخي عبد الناصر أن يتوسط لدي جمال ليوظفني في شركة حكومية .. وبالفعل تم تعييني في إحدى شركات البترول بالإسكندرية بمرتب يكاد يكفيني مع أولادي.

كان مدير الشركة رجلا برتبة لواء ، لا أعرف لماذا كان هذا الرجل يضطهدني ، حيث أنه كان يوقع على الجزاء بعد الجزاء لأسباب تافة .. أنا نفسي .. لم أعد أذكرها الآن .. وذات يوم ذهبت إلى ميناء الإسكندرية لأستقبل ألليثي عبد الناصر – شقيق جمال و أمين الاتحاد الاشتراكي بالمحافظة في ذلك الوقت . والذي كان في رحلة طويلة خارج البلاد . وحين عدت وجدت مدير الشركة قد حولني للتحقيق بتهمة الخروج بدون إذن .. وهددني الرجل بالفصل من العمل ، وقطع عيشي .. فلم أجد مفرًا من الذهاب إلي شقيقي الحاج عبد الناصر ليتوسط لدي جمال بمنع الرجل من فصلي ، وحين عاد الحاج عبد الناصر من زيارة ابنه جمال قال لي: أن جمال قال لي أن أبلغك أنه ليس لديه الوقت ليتوسط بين موظف ومديره في العمل . وحمدت الله أن

الرجل لم يفصلني من العمل وأكتفي بخصم جزء من مرتبي.

مرة أخرى حدثت أزمة بيني وبين أخي خليل – عم جمال – بسبب مسألة خاصة وهى أنه كان يريدني للزواج من فتاة قريبة لزوجته ولكني رفضت مفضلا الزواج من ابنة خالي.. وفوجئت ذات يوم بقرار بنقلي من الإسكندرية إلى المنيا . وقد أشاع أخي خليل أن « الرئيس » هو الذي قرر ذلك ، وتعجبت لهذا القرار ، فأنا لم أفعل شيئا أستحق عليه هذا العقاب .. وذهبت إلى أخي الحاج عبد الناصر أسأله عن السبب فقال أن خليل أخبره أن هذه هي رغبة الرئيس دون أن يذكر له الأسباب فقررت تنفيذ القرار بالفعل إلى أن تحين الفرصة لقاء الرئيس وسؤاله عن الأسباب ..

وفي المنيا ، جاء الرئيس لزيارتها بصحبة عبد الحكيم عامر ، وذهبت ضمن وفد الشركة لتحيته ، وحين رآني في السرادق اكفهر وجهه غاضبا ، وتقدمت للسلام عليه فسألني : ما الذي جاء بك إلى هنا هل أنا محتاج لحراستكم ؟ .. قلت له لم آت لحراستك بل جئت تنفيذا لقرارك بنقلي .. فتعجب الرئيس وقال لم أقرر نقلك .. ثم سألني هل تريد العودة إلى الإسكندرية أو البقاء هنا .. فقلت العودة إلى الإسكندرية طبعا .. فاستصدر قرارا بنقلي .. وحين قابل عمه خليل عنفه على ذلك وقال له ساخرا .. هل أنت الريس أم أنا ؟ إذا سمعت أنك فعلت ذلك ثانية سأعتقلك !

وقد سبق لجمال أن أصدر أمرا باعتقال عمه خليل فعلاً حين كثرت الشكوى من جيرانه والمتعاملين معه في تجارته بسوء استخدامه لنفوذه ، وذات يوم اتهمه تاجر مجوهرات بأنه اشترى منه بعض المصاغ ولم يسدد الثمن فأمر جمال بتفتيش منزل عمه خليل ، ولكنهم لم يعثروا على شيء مما جاء في بلاغ التاجر ورغم ذلك فقد اقتاد عمه إلى المعتقل حتى ثبتت براءته بعد التحقيق و أن الشكوى كانت كيدية.

وذات مرة استولى خليل على شقة لمواطن يهودي بالإسكندرية عن طريق مسئول بالمحافظة فأمر جمال عبد الناصر بإعادة الشقة لليهودي وإحالة عمه وموظف المحافظة للتحقيق.

وفي إحدى المرات وصل إلى جمال خبر القبض على عمه خليل وهو يلعب القمار في أحد البيوت بالإسكندرية ومعه عدد من ضباط البحرية . فأمر جمال بحبس عمه وإطلاق سراح الضباط لأنهم حضروا في حماية « عم الريس » فمنحهم الحماية ورفض منحها لعمه.

اضرب .. ابن الأكرمين!

يروي العم سلطان قصة تشبه كثيرا قصة « ابن الأكرمين » الشهيرة التي تروى عن عمر بن الخطاب .

ذات يوم تعطلت الثلاجة بمنزل الرئيس – فطلبت زوجة الرئيس من مدير مكتبه محمد أحمد أن يستدعي لها أحدًا من شركة إيديال ليقوم بإصلاح الثلاجة.

حضر رجل عجوز إلى منزل الرئيس .. وبعد أن قام بإصلاح الثلاجة ، تقدم منه الرئيس و أعطاه خمسين جنيها ، رفضها الرجل قائلا : لا أريد فلوسا ، ولكنني أريد منك أن تفرج عن ابني الذي قبض عليه مع تنظيم الإخوان المسلمين ، فاستجاب الرئيس لطلب الرجل ، و أمر محمد أحمد – مدير مكتبه – أن ينفذ ذلك على الفور.

وحين خرج الرجل من منزل الرئيس فوجئ بضابط من حرس المنزل ومعه عدد من جنود الحرس يقبضون عليه ويقتادونه إلى غرفة الحرس ويوسعونه ضربا قبل أن يفرجوا عنه في حالة إعياء كامل.

ويشاء القدر أن تتعطل الثلاجة مرة أخرى بعد فترة وتطلب زوجة الرئيس نفس

الرجل ، ليقوم بإصلاحها ولكن رجلاً آخر قام بإصلاح الثلاجة ولكنها تعطلت فور خروجه من المنزل أرسل محمد أحمد في طلب الرجل الأول .. فجاء مرتعدا ، وحين رآه الرئيس تقرب منه وسأله لماذا لا تريد الحضور إلى بيتي .. ألم أكرمك في المرة الأولى .. و أخرجت لك ابنك من السجن وأعطيتك خمسين جنيها .. ثم ترفض الحضور .. فلماذا ؟

بكي الرجل .. وسكت

اندهش الرئيس وهدأ من روعة ، وسأله لماذا تبكي ؟ فقال الرجل لقد ضربني حرسك لأني تجرأت – كما قالوا – و أبلغتك بنبأ اعتقال ابني..

أغمض جمال عبد الناصر عينه وهو يرى أثر الضرب على ظهر الرجل .. استدعي الحرس على الفور وطلب من الرجل أن يتعرف على من ضربه منهم فأشار إلى الضابط واثنين من الجنود .. أحرج الرجل حين طلب منه الرئيس أن يضربهم كما ضربوه .. رفض الرجل .. ولكن الرئيس حثه غاضبا .. اضربهم وإلا ضربتك.

ضربهم الرجل بالفعل فأخرجهم الرئيس من البيت وألحقهم بإحدى الوحدات العسكرية العادية .

يقول العم سلطان:

إن جمال كان يحب الحق دائما .. وكان يكره الظلم دائما .. خاصة إذا جاء منا نحن أهله و أقاربه ، كان يتسامح مع بعض الظالمين من غيرنا أما نحن فلم يكن يتسامح مع ظالم منا .. إذا حدث وتجرأ على الظلم.

ذات يوم أصدر جمال أمرا باعتقال خاله بسبب ظلم وقع منه في حق أحد معارفه .. وحين علم جمال بأن أسرة خاله – أبناؤه وزوجته – قد مال بهم الحال بعد اعتقال رب الأسرة .. أمر بإعطائهم خمسين جنيها في الشهر من مرتبه الخاص طوال مدة

الاعتقال.. وحين خرج قام بزيارته في منزله ، ليطيب خاطره ويطلب منه عدم العودة لمثل ذلك مرة أخرى .

وحين عرف بأن خاله هذا قد فصل من عمله .. فصلا قانونيا بسبب الغياب – طوال فترة السجن – رفض أن يعيده متجاوزا القانون . واشتري له سيارة بالقسط ليعمل عليها ويعول أسرته

هذا هو المستبد .. وهذا هو العادل

لقد كان حلما أسطوريا .. وحين جاء ليقضى على الظلم بدأ بأهله.

ذات ليلة ذهب إلي الإسكندرية لحضور عقد قران شقيقه الليثي ، وعند الباب تقدم شخص منه ليسلم عليه فانحني ليقبل يده . سحب جمال يده بسرعة متضايقا وسأل الرجل .. من أنت ؟ فقال الرجل : أنا سائق بشركة فورد أحضرت سيارة هدية من الشركة لليثي «بك » بمناسبة زواجه .. نظر عبد الناصر إلى عبد الحكيم عامر الذي كان في صحبته وقال ساخرا : اتفضل يا سيدي .. لقد أصبح الليثي «بك » و تأتيه الرشاوى .. قرر جمال الانصراف فورا وعدم حضور الحفل .. ولم تفلح محاولات المشير معه ليقبل تهنئة شقيقه .. وفي الصباح كان هناك قرار من رئيس الجمهورية بإقالة الليثي عبد الناصر من أمانة الاتحاد الاشتراكي بالمحافظة وتعيين عيسى شاهين بدلا منه .. فكان قرار الإقالة هو « النقطة» التي قدمها جمال عبد الناصر لشقيقه « العريس » يوم الصباحية!

بين جمال وعبد الناصر

يروي العم سلطان حكايات كثيرة عن احترام جمال لأبيه الحاج عبد الناصر .. ردا على ما كتبه أحد الصحفيين مدعيا أن جمال كان « مفتريا علينا » وعلى والده الشيخ العجوز .. الذي كان ينحني ليقبل يد ابنه عند السلام عليه !

يقول العم سلطان:

- حين صدر قانون الإصلاح الزراعي ، قام جمال بتوزيع عقود الملكية على الفلاحين .. وقد حاول أحد الفلاحين أن يقبل يد جمال التي سلمته عقد الملكية ، سحب جمال يده وقال للرجل قولته الشهيرة « ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد ».

وبعد أن ألقي خطابه بالأزهر الشريف أثناء العدوان الثلاثي على مصر هم بالانصراف من المسجد وانحنى ليلتقط حذاءه فوجد شخصا ينحني معه ليقدم له الحذاء .. فدفعه جمال بيده بعيدًا فوقع الرجل .

وفي أول مرة يزور فيه عمه طه - وهو العم الفلاح - اقتاده من يده نحو الحرس وهو يرتدي زيه الصعيدي التقليدي .. وقال لرجال الحرس هذا عمي طه .. شقيق والدي !

لم يكن جمال يحب أن يقبل يد أحد .. أو أن يقبل هو يده أحد بل كان يتضايق لرؤية ذلك كثيرا .. ويعتبره من مظاهر الاستعباد التي يكرهها .. كان يحترم أباه ، وكان أبوه يحترمه وكان حريصا على استرضائه ويقول له « ادع لى يا أبي » فكان الحاج عبد الناصر يكثر له من الدعوات

ذات مرة ذهب الحاج عبد الناصر إلي بيت جمال .. ليطلب منه التوسط لدي مدير الكلية الحربية ليقبل أوراق ابنه مصطفي - أخو جمال - الذي كان قد تجاوز سن القبول بخمسة أيام فقط .. رفض جمال طلب والده لأنه يتعارض مع القانون .. غضب الوالد من ابنه جمال وترك البيت فورا .. جري وراءه جمال محاولا استبقائه للتفاهم ولكن الوالد رفض مصرًا على ترك المنزل .. جمع جمال مستشاريه العسكريين وطلب منهم حلا للمشكلة فأشاروا عليه بإلحاق أخيه مصطفي بكلية

الطيران لمدة عام ثم تحويله للكلية الحربية وكان القانون يسمح بذلك.

وهكذا كان حرص جمال على استرضاء والده .. بنفس قدر حرصه على إرضاء ضميره..لم يكن جمال مريضًا بالسكر .. بل كان مريضا بنقاء الضمير . إن إصراره على إرضاء الضمير .. كان يبلغ أحيانا حد الشطط ذات يوم من عام ٦٥ رزقني الله – يقول العم سلطان – بولدين توأم هما أسامة وخالد .. ووجدت جمال يقول لى مازحا : أطالب الناس حتى بح صوتي بتحديد النسل وتنظيم الأسرة .. وأنت يا عمي بتخلف بالجوز .. أودي وشى من الناس فين !

ذات يوم – يقول العم سلطان – حين كنت أعمل بفرع شركة البترول بالمنيا جاءني مدير الفرع وقال لي أن للشركة أموال متأخرة لدي الحاج بكري عامر – عم المشير – ولا يستطيع أحد أن يطالبه بها .. فذهبت إلى الرجل – ولم يكن يعرفني – وطالبته بأموال الشركة المتأخرة لديه .. تعلل ببعض الظروف .. فأمهلته – بلهجة غير ودية . فاستنكر الرجل ذلك .. وقال كيف تحدثني بهذه الطريقة أنت مش عارف أنا مين ؟ فقلت له .. وأنت عارف أنا مين ؟ وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي استخدم فيها مثل هذه العبارة .. وسمحت لنفسي باستخدامها فقط من أجل الصالح العام واسترداد أموال الحكومة للشركة التي أعمل بها .. وبالفعل تم ذلك بعد أن تعارفنا عم المشير وعم الرئيس.

عايز شقة!

يقول العم سلطان :

– لقد خرجت على المعاش براتب لا يزيد على خمسة و أربعين جنيها ولدي أولاد كثيرون في مراحل التعليم – وعندي ابنه وحيدة – هدي – مطلوبة للزواج ولا أملك تجهيزها .. أقيم في شقة فوق السطوح وهي باسم زوجتي لأن والدها

استأجرها لها عند زواجي منها – أي أنني – عم جمال عبد الناصر – ولا أملك شقة باسمي في جمهورية مصر العربية .. ولا شقة في الطابق الخامس .. وأنا مريض بالسكر .. وكل ما أرجوه فيما يتبقى لي من أيام أن أجد شقة بالطابق الأرضي ، فلم أعد أستطع – وقد تجاوزت السبعين– أن أصعد السلم إلى الطابق الخامس .

لقد كان عندي منزل في الإسكندرية في بداية الثورة ، وقد أبلغني شوقي عبد الناصر – شقيق جمال – أن الرئيس لا يريد أن يمتلك أحد من أسرته شيئا .. فبعت المنزل وصرفت ثمنه على تعليم أبنائي وتكاليف المعيشة وقد منح الرئيس السادات لشقيقي عطية أرضا ليقيم عليها منزلا في « بني مر » أتمنى من الله شقة بالدور الأرضي.. كذلك أتمنى أن نتمكن من بناء مسجد في «بني مر» باسم جمال عبد الناصر ، والأسرة متبرعة بالأرض .. ولكنها لا تملك تكاليف الإنشاء .. نرجو أن يتبنى المسئولون أو المؤمنون بإخلاص بمبادئ عبد الناصر مشروع إقامة مسجد باسمه في «بني مر » .

4

طه حسين

الحاج طه حسين « عم الزعيم »

❖ دعا الجد لحفيده قائلا « إلهي تحكم بر مصر » .

❖ عبد الناصر صادر أرض أسرته لحساب القوات المسلحة.

❖ رفض إنشاء قرية نموذجية في بنى مر . وقال إنها ستكون آخر قرية نموذجية في مصر.

❖ فاز عمه بالجائزة الأولى في إنتاج القمح فطلب عبد الناصر « التحريات اللازمة ».

يروى الحاج طه قصصا كثيرة عن علاقة حميمة بين الجد الحاج حسين وحفيده جمال فقد كان يفاخر به أمام أهل القرية كلهم ، وكان يبشر بين الجميع بمستقبل عظيم ينتظر حفيده « الباشا » ولم يكن هناك منصب يعرفه الرجل البسيط أكبر من منصب « الباشا » ليدعوه له به .. ولم يكن يعرف أن حفيده جمال سوف يقضى على كل الباشاوات بل وعلى « الباشاوية » ذاتها بعد سنوات قليلة ، ولكن جمال لم يكن يحب أن يسمع هذا اللقب على لسان جده أو أن يقترن اسمه به ، وحين كان يقول ذلك لجده طالبًا ألا يناديه به ، كان الجد الطيب يرجع ذلك إلى التواضع الذي يتحلى به حفيده ... فلم يكن يعلم أن هناك أسبابًا أخرى أكبر من مجرد التواضع تجعل حفيده يرفض اللقب وحامليه !

وحين انتقل جمال عبد الناصر إلى المعسكر المجاور لقرية « بنى مر » ذهب الجد على حماره إلى حفيده جمال بالمعسكر ليدعوه مع زملائه لزيارة القرية .

وفي اليوم المحدد للزيارة استعد الجد تماما لهذه المناسبة الفريدة كان هناك أحد الطباخين المحترفين الذي كان يعمل لدي أحد « الباشاوات» بالقاهرة .. وقد حضر إلى قرية « بني مر » في أجازة . فذهب إليه الجد يرجوه أن يحضر عنده منذ الصباح الباكر ليعد له مأدبة عظيمة تليق بحفيده « الباشا » وزملائه وفعلا حضر الرجل إلى منزل الحاج حسين في ذلك اليوم ليتفنن في عمل أصناف من المأكولات أراد أن يثبت بها أن طباخي « بنى مر » لا يقلون شأنا عن طباخي القصور و الباشاوات .. وبالفعل حين رأى جمال وزملاؤه عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين المأدبة فوجئوا بما حوته من أصناف فاخرة ، فنظر كل منهم إلى الآخر في دهشة وهم الذين كانوا ينتظرون الفطير « المشلتت » والجبن القديم .. لم يدركوا أن الجد البسيط كان ينظر إليهم على أنهم « أعظم » من وطأت أقدامه أرض بنى مر !!

كـان الجـد « حسـين » يعـيش وفي ذهنـه نبـوءة ودعـوة تمـلآن عليـه كيانـه .. أمـا الدعوة فقد نالها بجوار بئر زمزم المقدسة حين ذهب إلى الحج مع والدتـه العجـوز .. نزل الحاج حسين مع والدته ضمن فوج من أهل القرية في مكان قريب من بئر زمزم .. وكان الشباب الذين ضمهم فوج القريـة والقـرى المجـاورة يتنـاوبون عـلى سـقاية الفوج وإحضار الماء مـن البئـر المقدسـة . وحـين جـاء الـدور عـلى « حسـين خليـل » ذهب إلى البئر لإحضار الماء فوجد زحامًا شديدًا وما كاد يفرغ من ملء القربـة التـي كان يحملها حتى وجد سيدة عجوز تطلب منه أن يسقيها.

كان « حسين أبو خليـل »شـابا ورعـا يـأنف مـن التعامـل مـع النسـاء أو النظـر في وجوههن تعففا ، فما بالك وهو الآن في الأرض المقدسـة ؟ رفـض أن يسـمع لرجـاء السيدة التي طلبـت منـه أن يسـقيها .. فـدعت عليـه « بـالبلاء » فاقشـعر بدنـه خوفـا ورهبة ، فعاد إليها مستسمحًا ورجاها أن تغفر له .. وقدم لها « القرْبة » كلها هديـة ، فعادت السيدة العجوز وغفرت له – وحين علمت أنه من مصر . دعت له أن يخـرج من صلبه « حاكم عادل » وألا يحكم فيـه ظـالم .. ! حمـل الحـاج حسـين هـذه الـدعوة الكريمة وعاد إلى أهله ليقص عليهم ما حـدث .. وحـين سـمعت أمـه هـذه الـدعوة كررتها على لسانها لابنها البار . !

وبعد سنوات من ذلك اليوم المشهود جاءت إلى قرية بني مر سيدة « عرافـة » مـن ضاربي الودع وحين جلس أمامها الحاج عبد الناصر رضوخًا لإلحـاح بعـض أقاربـه وأصدقائه نظرت السيدة العجوز في « طاقيته » ثم ألقت بها في حجره ، وكأنها قطعـة من الجمر !

تمتمت « العرافة » ببعض الكلمات السريعة والمتلاحقة ، لم يسمع منهـا الجالسـون سوى تكبيرات « الله أكبر » « الله أكبر » « ما شاء الله » !

وحين طالبها الجالسون تفسيرا لذلك ، قالت السيدة موجهة كلامها إلى الحاج عبد الناصر « يخرج من صلبك من يملأ الدنيا صيتا وشهرة » .. « فيك سلطان وحاكم .. ما شاء الله »!

ازداد الحاضرون دهشة على دهشة .. من أين لهذا الرجل الفقير الحكم والسلطان وهو الذي لا تملك أسرته من « الطين » سوى اثنى عشر فدانًا فقط ؟ !

لم يكن الحاج أقل دهشة من الحاضرين .. ولكنه كان أكثرهم أيمانا بالله ومشيئته النافذة.

ومرت الأيام وتلك النبوءة والدعوة لا تفارقان خياله ، وحين رأى حفيده « جمال » يدخل كلية الحقوق ثم « الكلية الحربية » عادت الأحلام تراود خياله من جديد لماذا لا ولا شيء يكثر على الله ؟

لم يكن الحاج حسين يتحدث عن أحلامه أمام أحد .. ربما خوفا من الحسد .. وربما إشفاقا على نفسه من سخرية الآخرين « وطريقتهم » .. ولكنه كان يصوغ أحلامه في شكل دعوة لحفيده « إلهي تعيش وتبقي باشا » .. إلهي أشوفك حاكم في الأربع عشر مديرية ، ولكن الجد لم يعش ليري أحلامه في حفيده وقد تحققت فقد مات قبل الثورة بست سنوات فقط ..!

يقول الحاج طه حسين – عم الزعيم – لقد تحققت الدعوة والنبوءة.. وجاء جمال عبد الناصر ليكون « حاكمًا عادلًا » بل ومستبدًا في عدله . !

أذكر – كما يروى الحاج طه – أنه في عام ١٩٥٨ وضعت أسرتنا يدها على بعض الأراضي من طرح النهر أمام قريتنا « بني مر » لم نكن نحن وحدنا الذين فعلنا ذلك فقد جرت العادة في صعيد مصر كله ، على أن يضع الناس أيديهم على أراضي

« الجزيرة » من طرح النهر ويقومون بزراعتها . وقد قمنا بذلك ومعنا أعداد كبيرة من العائلات الأخرى .. ولكن حين سمع جمال عبد الناصر بذلك أصدر أوامره إلى « سيد مرعي » وكان وقتها وزيرا للزراعة . بأن تستولي وزارته على الأرض التي وضعنا يدنا عليها وقمنا بزراعتها . وعلى أن يتم توزيعها على « المعدمين » و « أسر المجندين » وقد حاول سيد مرعي أن يشرح الأمر للرئيس ، ولم يكن يدافع عنا ، ولكنه كان يدافع عن وضع قانوني معترف به في وزارة الزراعة وينظمه قانون « وضع اليد » ولكنه أمام إصرار عبد الناصر لم يجد سيد مرعي مفرًا من تنفيذ الأمر فاستولت الحكومة على أرضنا وأخذتها بزراعتها . وقامت بتوزيعها فعلا على المعدمين من فلاحي القرية .. وحين هددنا يرفع الأمر إلى القضاء .. هددنا عبد الناصر بدوره بالاعتقال والتشريد وقال لنا : أنتم آخر ناس تحصل على أراضى من الحكومة طالما أنا عايش !

وفي واقعة أخرى .. قرر سعد زايد محافظة أسيوط في أواخر الخمسينيات إنشاء قرية نموذجية في « بني مر » وأصدر بالفعل قرارًا بتخصيص الأرض اللازمة للمشروع . وقامت بعض الهيئات العربية والدولية بتبني المشروع وعرضت تبرعها بالمساهمة وحين عرض الأمر على عبد الناصر بالخرائط والصور أعطي تعليماته الصارمة بوقف المشروع مؤشرا بقلمه أوافق ولكن بشرط أن تكون بني مر آخر قرية نموذجية في مصر !

وكانت النتيجة أن توقف المشروع وظلت الأرض خالية حتى وقت قريب ، حين بدأت الحكومة في بناء بعض المشروعات الخدمية بها بعد أن توسعت القرية ، واحتاجت إلى عدد من المدارس والمعاهد والعيادات.

ويقول الحاج طه : أن شقيقي الحاج عطية ظل بدون أرض أو بيت – رغم أن

الفلاحة هي مهنته التي لم يعرف غيرها حتى جاء الرئيس السادات في ذكرى الأربعين ليقدم واجب العزاء إلى الأسرة بعد وفاة عبد الناصر وحين علم بأن عطية – عم عبد الناصر – لا يملك بيتا أو أرضا – أصدر قرارًا جمهوريا بتخصيص قطعة من الأرض اقتطعت من المساحة التي كانت مخصصة للقرية النموذجية التي رفض عبد الناصر بناءها ليبنى عليها عطية بيتا له ولأولاده وهو البيت الوحيد الذي يمتلكه في قرية بنى مر .. وقد امتلكه بعد وفاة عبد الناصر الذي ظل يرفض ذلك حتى آخر يوم في حياته !

كذلك فقد رفض جمال عبد الناصر أن يطلق اسمه على المدرسة الابتدائية أو الإعدادية التي كانت في القرية وقد ظلت تحمل اسمها القديم « مدرسة بنى مر » حتى الآن . أما المدرسة الثانوية التي تحمل اسمه في قرية بنى مر فقد أنشئت بعد وفاته !

ويواصل الحاج طه حديثه عن المستبد العادل « ابن شقيقه » جمال عبد الناصر فيقول : لم يكن جمال عبد الناصر يسمح باستغلال النفوذ مطلقا .. وكان أعنف ما يكون معنا – نحن أهله و أقاربه – حين يسمع مجرد إشاعات عن استغلال النفوذ .. أذكر مثلا أنه اعتقل خاله إبراهيم حماد لمدة أربعة شهور ونفاه إلى « قنا » لمجرد أنه سمع أن الرجل يقدم نفسه للناس على أنه « خال الرئيس » .. والطريف أن خاله بعد أن أمضى فترة العقوبة خرج من المعتقل لينفي أمام الجميع أية صلة له « بالرئيس » !

وبينما كان خاله يقضى أيامه في جنيات المعتقل .. كان « جمال» يقوم بالصرف على أولاده وبيته من مرتبه الخاص وقد ذهب جمال إلى بيت خاله ، لا ليعتذر له بل لشرح له الأسباب التي حملته على ذلك.

وفي واقعة ثالثة .. بطلها هذه المرة الحاج « خليل » عمه الذي تربى جمال في بيته:

توفيت والدة جمال وهو في الثامنة من عمره وتركت وراءها أربعة أولاد كان جمال « أكبرهم » ولما كانت الحاجة « توحيدة » زوجة العم خليل « لا تنجب » فقد طلبت من زوجها أن يحضر لها أبناء أخيه عبد الناصر ليعيشوا معها كأبناء ، عوضا لها عن الأبناء الذين قدر لها الله أن يحرمها منهم وفعلا وبعد إلحاح من الحاج خليل وزوجته قبل الحاج عبد الناصر أن ينتقل أولاده مع عمهم « خليل » في القاهرة.

حاول الحاج « خليل » أن يعوض أبناء أخيه عن أمهم فتفاني في خدمتهم ومعه زوجته الحاجة «توحيدة» التي وجدت فيهم الأبناء الذين عوضوها عن حرمان السنوات الماضية.

وتمر الأيام ويصبح جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية .. بل زعيمًا عالميا مرموقًا فخرج الحاج خليل ليفاخر «بابنه » أمام الجميع .. وتحت وطأة الحرمان من الولد .. ازداد إحساس الحاج خليل بالتباهي بابنه جمال وذات يوم « سمع » الرئيس أن عمه خليل قد تلقي هدية من المليونير السعودي – المصري الأصل – « الشربتلي » فأمر بتفتيش منزل عمه فانتقلت قوات الأمن في الخامسة صباحا لتدهم شقة عمه خليل بشارع بورسعيد ، وشقته الأخرى بشارع الألفي في نفس الوقت ولكنهم لم يعثروا على شيء يستحق الذكر ، ورغم ذلك أعطى جمال تعليماته باعتقال عمه ، والتحقيق معه بشأن « الهدية » التي تلقاها من صديقه رجل الأعمال السعودي

وفي المعتقل اشتدت وطأة المرض على العم العجوز ، فذهبت زوجة الحاجة « توحيدة » إلى « ابنها » جمال لترجوه أن يفرج عن أبيه خليل. الذي يعاني سكرات الموت في المعتقل ، وحين تأكد عبد الناصر من صدق الخبر قرر الإفراج عن عمه وأمر بإدخاله مستشفي المعادي للعلاج على حسابه ، وقام بزيارته هناك . ليخفف عنه وطأة المرض ويشرح له أسبابه فيما حدث .

وبعد أيام .. كان الرئيس في صحبة الرئيس اليوغسلافي « تيتو » والهندي « نهرو » في زيارة السد العالي بأسوان وانحني سكرتيره الخاص محمد أحمد على أذنه ليقول له البقية في حياتك .. لقد توفي عمك خليل !

قطع عبد الناصر زيارته لأسوان فورا إلى الإسكندرية ليشيع جنازة عمه الذي كان قد اعتقله منذ أيام !

كان عبد الناصر يأخذ أهله « بالشبهات » فلم يكن يرفض منهم فقط أي تجاوز للقانون ، بل كان يرفض منهم حتى الأعمال القانونية التي يمكن أن تجر إلى « وجع الدماغ » أو تضعهم في دائرة « الشبهات » .. أذكر مثلًا – كما يقول العم طه – أن عمه خليل قام بإنشاء سينما في الطابق الأرضي من عمارته بشارع الحرية بالإسكندرية ، وحين علم جمال عبد الناصر بذلك اتصل بالسيد حمدي عاشور – محافظ الإسكندرية آنذاك – وأمره بالاستيلاء على السينما ومصادرة أجهزة التشغيل بها .. وحين ذهب إليه عمه خليل معترضا ، قال له « إحنا مش بتوع سينمات وملاهي » !

وبعد وفاة جمال عبد الناصر لجأ ابن الحاج خليل إلى القضاء ليستصدر حكمًا بإعادة السينما إلى الورثة . وفعلا أصدر القضاء حكما بإعادة السينما إلى ورثة الحاج خليل الذي كان قد توفي قبل عبد الناصر بشهور قليلة !

ومازال الحديث مستمرًا .. عن المستبد العادل جمال عبدالناصر يقول العم طه :

في يوم من الأيام فوجئت برجال القوات المسلحة ينزلون إلى أرضى الزراعية ويستولون عليها ،وحين توجهت إلى قائد مجموعة «الاقتحام » عرفت منه أنهم قرروا بناء معسكر لتقيم فيه وحدة عسكرية مخصصة لأعمال الحراسة على قناطر أسيوط فقلت له : ألم تجدوا غير أرضى التي أقتات منها أنا وأولادي لتقيموا

معسكركم عليها؟

رفض قائد الوحدة أية مناقشة في الموضوع قائلا إنه ينفذ الأوامر ولا يملك أن يحيد عنها .توجهت إلى الرئيس عبد الناصر في منشية البكري ،وقابلني بابتسامه اشتممت منها أنه على علم بالموضوع،فقلت له متسائلًا :ما هي مهنتي يا ريس ؟ فقال : فلاح ...قلت له : وهل يعقل أن يكون هناك فلاح بلا أرض يفلحها ! وأنت الذي توزع الأراضي على الفلاحين وتحولهم من عبيد إلى ملاك ...لم تجد غير عمك لتحوله من مالك إلى عبد ؟!

ضحك الرئيس وقال لي مهدئاً : احمد ربنا أنهم وجدوا« عندنا » أرض وأخذوها . وإذا لم نكن نحن الذين نتبرع بأرضنا للدولة والجيش ... فمن أولى منا بذلك ؟

قلت له أنا مستعد أتبرع للدولة .. ولكن ليس بكل ما أملك من أين آكل أنا وأولادي ، إذا استولوا على أرضى كلها ؟

حاول الرئيس أن يهدئ من روعي . وخرجت في نهاية الأمر دون فائدة! فوضت أمري إلى الله وعدت إلى قريتي حزيناً منكسراً .

ولكن بعد فترة وجدت الوحدة العسكرية تنتقل إلى مكان آخر تاركة الأرض ، فتوجهت إلى قائد الوحدة أسأله عن السبب ، فقال لي : إننا وجدنا المكان غير مناسب من الناحية الأمنية فقررنا الانتقال إلى مكان أكثر صلاحية ! إذن لم يكن عبد الناصر هو الذي أمرهم بإخلاء الأرض ...لم تكن غير العناية الإلهية التي أعادت أرضى إلى !

ويستمر الحوار عن « المستبد العادل » جمال عبد الناصر ... يقول العم طه حسين :

ذات يوم من أيام عام ١٩٦٣ كنت في زيارة للرئيس بمنزله فاستقبلني مرحبا

... وقال لي أنا مبسوط منك يا عمى : فقلت له خير إن شاء الله فقال لقد علمت أنك حصلت على كأس أحسن مزارع في إنتاج القمح ...إنني أدعو لزيادة الإنتاج وأحب أن تكونوا أنتم المثل والقدوة في ذلك ...وبعد ذلك عرفت أن شفيق الخشن وزير الزراعة في ذلك الوقت حين أخبره بالنبأ في اجتماع لمجلس الوزراء . قرر الرئيس أن يؤجل تسلمي كأس الإنتاج حتى يتحقق من الأمر بنفسه ، خشية أن يكون فيه شبهة مجاملة للرئيس .. فعلا جاءته التحريات مصدقة لقرار وزارة الزراعة . حيث كنت الأعلى إنتاجا في القمح في تلك السنة ففرح الرئيس بذلك مرتين : مرة لأنني ضربت المثل في العمل والإنتاج، والأخرى لأن الأمر لم يكن فيه أية شبهة للمحاباة أو المجاملة ..!

5

محمود شرف

مسئول المظالم في مكتب عبد الناصر :

❖ جمال عرض على لطفي السيد رئاسة الجمهورية في بداية الثورة.

❖ مواطنة مصرية تقول لعبد الناصر : أنقذني من زوجي و إلا سأنتحر

❖ سلبيات عبد الناصر كلها .. خرجت من مكتب المشير

كيف كان عبد الناصر يتصل بالمواطنين ؟ وكيف كان المواطنون يتصلون برئيسهم جمال عبد الناصر ؟

كيف كان جمال عبد الناصر يعرف مجريات الأمور في مصر ؛ ومن الذي كان مكلفا بنقلها إليه ، وماذا كان موقفه منها ؟

من أين جاءت السلبيات في رحلة حكم عبد الناصر ومن الذي كان يقف وراءها وكيف كان تصرف الرئيس حيالها ؟

أسئلة كثيرة وجهتها إلى الرجل المسئول عن « إدارة الشكاوى » بمكتب رئيس الجمهورية .. الأستاذ محمود شرف . الذي لم يكن مجرد موظف في مكتب الرئيس بل كان صديقا وزميلا لعبد الناصر منذ أن كان طالبا في المدارس الثانوية بمدينة القاهرة.

وقد اختاره عبد الناصر لينشئ « إدارة الشكاوى » ويتلقى مظالم الناس ويضع يده على نبضهم ويكون همزة الوصل بينه وبينهم ثقة منه في الرجل الذي أخبره منذ أن كان صبيا لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره وفي حواري معه يضع محمود شرف نقاطا كانت ضائعة على حروف مشتتة ، فاكتملت كثير من الجمل المفيدة في كتاب تاريخنا العربي المعاصر .

متى تعرفت على جمال عبد الناصر: وما هي الظروف التي جمعتكما لأول مرة؟

- كنت طالبا في مدرسة الخديوية الثانوية ، حينما سمعت عن جمال عبد الناصر الطالب بمدرسة النهضة الثانوية لأول مرة ، فقد كانت شهرته على مستوى طلبة المدارس الثانوية – قد اتسعت ، لأنه في ذلك الوقت كان زعيما طلابيا مرموقا .. رغم أنه لم يكن قد مضى على التحاقه بمدرسة النهضة سوى عام واحد فقط ، وكان قبله طالبا في مدرسة رأس التين الثانوية بالإسكندرية .وقد ترأس جمال اللجنة

الطلابية بمدرسة النهضة وكنت أنا رئيسا للجنة الطلابية بمدرسة الخديوية وكانت اللجان الطلابية في ذلك الوقت، هي قيادة العمل السياسي بالمدارس الثانوية ، كذلك فقد كانت هناك اللجان الطلابية بالجامعات. وقد تولى جمال عبد الناصر القيادة باللجنة التنفيذية لطلاب المدارس الثانوية على مستوى القاهرة كلها ، ومن ثم كان يجرى الاتصالات باللجان الطلابية بالمدارس لتنسيق العمل وأعطاه التوجيهات الخاصة بالحركة الطلابية في ذلك الوقت ، ومن هنا تم التعرف على جمال عبد الناصر شخصيا ، وقد رافقته في جميع المظاهرات والتي خاضها الطلاب ضد الإنجليز أو القصر أو رجال السياسة الموالين لأحدهم أو لهما معا .

وبعد أن انتهينا من الدراسة الثانوية التحق جمال بكلية الحقوق ثم تركها ليلتحق بالكلية الحربية وبعد تخرجه ذهب إلى السودان ، ليخدم ضمن القوات المصرية العاملة هناك ، وكان مقره بجبل الأولياء .. ومن هناك أرسل خطابا إلى صديقه عبد الرءوف جبريل وكان صديقي أنا أيضا .. وقد أطلعني عبد الرءوف على الخطاب مستغربا من صديقه جمال كيف يتحدث عن مصر وأحواله السياسية وهو على بعد آلاف الكيلو مترات منها .. ولم يسأل جمال في رسالته عن أحد من أصدقاءه أو معارفه ، ولكنه فقط كان يسأل عن مصر و أحوالها .. وهذا ما جعل عبد الرءوف يطلعني على الخطاب مستغربا . وهو لا يعرف بأن جمال عبد الناصر صديقي أنا أيضا ، وأنني زاملته أيام كنا طلابًا بالثانوية .. وقلت لصديقي عبد الرءوف أن جمال كان هكذا دائما وأنه لا يهتم بشيء قدر اهتمامه بمصر وأحوالها..

وحينما عاد جمال من السودان اجتمع شملنا مرة أخرى ، ولم نفترق حتى مات .. رحمه الله .

***

شكوى الناس

كيف سمعت بالثورة وهل شاركت جمال عبد الناصر – قائد الثورة – مسئولياته الكثيرة ؟

– قامت الثورة فجر يوم الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ – وبعد أن استقرت لها الأمور نسبيا – أي بعد أسبوعين تقريبا من إعلانها – توجهت و معي عبد الرءوف جبريل إلى جمال عبد الناصر بمجلس قيادة الثورة، وهناك التقينا به وطلب منا أن نبقى إلى جواره لإدارة بعض المسائل الهامة .. لم نكن نعرف ماذا يقصد بالضبط .. وفي يوم من الأيام استدعاني ومعي عبد الرءوف جبريل وفاتحنا في مسألة إنشاء إدارة جديدة اسمها« إدارة الشكاوى» بمكتب رئيس الجمهورية .. تكون مهمتها تلقي الشكاوى والاقتراحات التي يبعث بها المواطنون إلى رئيس الجمهورية والرد عليها ومتابعتها وهي إدارة جديدة لم تعرفها الحكومات المصرية من قبل وعلى الفور بدأنا في الإعداد لتشكيل الإدارة الجديدة .. وانتهينا من ذلك وبدأنا العمل فعلا.

ما هي الموضوعات التي كانت تضمنها شكاوى الناس في ذلك الوقت ؟

– كانت موضوعات خاصة وأخرى عامة .. مثل الحاجة إلى مياه الشرب النقية في إحدى القرى أو رصف طريق أو إدخال الكهرباء .. أو انقطاع المياه أو الشكوى من ممارسات بعض رجال الإقطاع السابقين أو بعض المسئولين الحاليين .. وكنا نكتب تقريرا يوميا إلى الرئيس يتضمن ملخصا لأهم الشكاوى ونتلقى تعليمات مكتوبة منه بشأنها ونقوم بتوجيهها إلى الوزراء المختصين كل حسب اختصاصه .. هكذا .

مواقف إنسانية

قلت أن هناك بعض الشكاوى الخاصة التي يرسلها المواطنون إلى الرئيس .. فهل تعطينا بعض النماذج لها وكيف كان رد الرئيس عليه ؟

- كانت المشاكل الخاصة كثيرة ومتنوعة .. على سبيل المثال أرسل أحد أبناء المرحوم عبد القادر عودة .. وهو من قيادات الإخوان الذين أعدمتهم الثورة بعد حادث الاعتداء الشهير الذي قام به الإخوان في ميدان المنشية بالإسكندرية ، إرسال هذا الابن رسالة خاصة إلى جمال عبد الناصر يشكو فيها بسبب عدم قبوله بكلية الشرطة رغم استيفائه لكل الشروط المطلوبة ، وقد أشر الرئيس على الرسالة بضرورة قبوله بكلية الشرطة إذا كان حقيقي مستوفيا الشروط .. وبالفعل تم قبول ابن عبد القادر عوده الذي كان أحد المتهمين بتدبير حادث اغتيال جمال عبد الناصر بالمنشية.

وفي رسالة أخري بعثت زوجة مرتضى المراغى وزير الداخلية في عهد الملك تطلب السماح لها بالسفر إلى الخارج للحاق بزوجها الذي خرج مع الملك فاروق عقب الثورة وقد رفض المسئولون السماح لها بالسفر وقد أشر الرئيس على تلك الرسالة بضرورة السماح لها بالسفر .

وكذلك كان موقف الرئيس مع زوجة الصحفي أحمد أبو الفتوح الذي كان يرأس تحرير جريدة المصري .. وهرب إلى أوروبا بعد تأميمها وهناك أسس إذاعة تحرض الناس في مصر على الثورة ضد جمال عبد الناصر الذي لم يكن لتلك الإذاعة هم إلا مهاجمته وسبه ليلًا ونهارًا لقد كان جمال عبد الناصر إنسانا إلى أقصى درجة ، ولم يسمح لنفسه في يوم من الأيام بأخذ أحد بجريرة أحد ، وكان متسامحا إلى حد كبير مع خصومه والذين يكيدون له وسأذكر لك مثلا واحدًا يظهر لك مدى إنسانية جمال عبد الناصر وعطفه على الناس .. ذات يوم وصلتنا رسالة من امرأة تشكو فيها من معاملة زوجها لها وتهدد السيدة في رسالتها بالانتحار .. وقد أرسلت مبلغ ستين جنيها لجمال عبد الناصر لينفق منها على إجراءات دفنها بعد الانتحار

بسبب زوجها .. وقد أرسلت موظفا من إدارة الشكاوى على عنوان تلك السيدة ليستطلع أمرها وحينما وصل وجد البوليس والنيابة ورجال الإطفاء في شقتها، فقد انتحرت السيدة فعلا فقمنا بتسليم مبلغ الستين جنيها الذي كانت قد أرسلته إلينا إلى النيابة وقمنا بالإنفاق على إجراءات دفنها من مخصصات الرئاسة حسب تعليمات عبد الناصر شخصيا حين أطلعناه على الأمر .

وإذا سألت لماذا أرسلت هذه السيدة إلى جمال عبد الناصر شكواها الشخصية فلن تجد إجابة غير « الإنسانية » فقد كان الأب والأخ ، والعائل لكل المواطنين ، وقد حمله الناس المسؤولية .. حتى مسؤولية مشكلاتهم الشخصية.

رسالة من شاب «ضائع»

في حادث آخر .. تلقينا رسالة من شاب بإحدى قرى محافظة الشرقية يقول فيها أنه ضائع بسبب الخلاف الدائم بين أبيه و أمه و أنه يخشى أن يفشل في دراسته بسبب الفقر وضيق الحال ، فأرسلت إلى مأمور المركز التابع له هذا الشاب ، و أوصيته – باسم مكتب رئيس الجمهورية – أن يصطحب شيخ المسجد بالقرية أو أحد الكبار فيها ليقوم بإصلاح ذات البين في أسرة الشاب .. وبعد فترة وصلتنا رسالة من مأمور المركز يقول فيها أنه تم اتخاذ اللازم وعادت المياه إلى مجاريها في الأسرة المذكورة .. ذات اللحظة حضر إلى مكتبنا الصحفي إسماعيل عبد التواب من جريدة الشعب التي يرأس تحريرها في ذلك الوقت صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة . وقد سألني الصحفي عبد التواب عن أخبار شكاوى المواطنين بالإدارة فقدمت له رسالة الشاب ورد المأمور عليها فاقترح الأستاذ إسماعيل عبد التواب أن يذهب إلى قرية الشاب بنفسه لعمل تحقيق صحفي عن الموضوع . ورأيت أن أذهب معه لمتابعة الموضوع بنفسي .. وهناك فوجئت بأن مأمور المركز غير ملم بالموضوع ، وأنه كان

غائبا ، و أن الذي أرسل الرد على إدارة الشكاوى هو نائبه ، وقد أرسله – تسديد خانة – دون أن يتخذ اللازم فعلا.

ذهبنا إلى القرية وقابلنا الشاب و اطلعنا على أحواله وبعد العودة إلى القاهرة قابلت الرئيس مقدما له تقريرا عن الموضوع فأمر بعقاب مأمور المركز لإهماله .. وتخصيص إعانة شهرية لأسرة الشاب الفقير وصرف مكافأة للصحفي إسماعيل عبد التواب الذي أصر على متابعة الحالة .

وهكذا كان جمال عبد الناصر .. أبا كبيرا وإنسانا بدون نظير.

أتحدى المشككين

ولكن البعض يحاول تصوير جمال عبد الناصر بصورة مغايرة قائلين بأنه كان ديكتاتورا وطاغية ومتعطشا فما ردك على هؤلاء؟

– لم يكن لجمال عبد الناصر غير الصورة الإنسانية التي تحدثت عنها .. ومن يقل غير ذلك فهو مخطئ أثيم .. وأتحدى أن يثبت عكس ما أقول . خاصة الإخوان المسلمين ، فهو لم يكن إنسانا كما كان معهم بالذات ، لقد استمر صرف مرتبات الإخوان المعتقلين بلا ذنب لأبنائهم أو عيالهم .. ومن لم يكن له راتب من الحكومة كان يأمر بصرف راتب له من وزارة الأوقاف وعلى سبيل المثال حين سمع عبد الناصر أن محمود عبد اللطيف الذي حاول اغتياله بإطلاق الرصاص عليه ليس موظفا ويعول والديه أمر بتخصيص راتب شهري لأسرته من وزارة الأوقاف.

وأتحدى أي صحفي أو كاتب ادعي أن جمال عبد الناصر فصله من عمله أو أوقفه عن الكتابة وأوقف صرف راتبه لم يفعلها جمال عبد الناصر مع أحد من الصحفيين أو الكتاب أو الموظفين الذين سجنوا في عهده أو أوقفوا عن الكتابة . خاصة أنيس منصور أو غيره . وحين كانت تصل إلينا شكاوى عن بعض

التجاوزات في تنفيذ القانون من رجال الشرطة كأن يأمر بالتحقيق فورا لمعاقبة المسيئين.

وأمر باعتقال عمه خليل ، ولم يقبل شفاعة والده ، حين توسط للإفراج عن شقيقه ، وكان يصرف أيضا على أسرته من راتبه الخاص.

وأمر باعتقال عمه سلطان بسبب إشاعات – مجرد إشاعات – عن استغلاله لنفوذه .. وحينما توسط صديق عمره حسن النشار لتعيين عمه سلطان في شركة المعادي للمقاولات براتب ثلاثين جنيها غضب من حسن النشار وأمره بإحضار ملف عمه من الشركة وقام بتمزيقه بنفسه ثم صرف له مبلغا من المال كمساعدة من جيبه الخاص.

نعم لقد اعتقل جمال عبد الناصر بعض الناس .. ولكن بالحق والعدل ولم يستثني أحدًا في ذلك حتى أقرب الناس إليه .

وأذكر أنه في بداية الثورة .. كان شقيقه عز العرب يعمل في شركة الغزل بكفر الدوار وقد قرر رئيس الشركة تعيين عز العرب عضوا بمجلس الإدارة رغم أن خبرته لا تسمح بذلك فغضب جمال عبد الناصر و أصدر أمرا بنقل شقيقه من الشركة وتعيينه بمكتب جريدة الجمهورية بالإسكندرية.

تأميم قناة السويس

كان جمال عادلا ولم يكن ديكتاتورا كما قيل ، و على سبيل المثال استدعي عبد الناصر الدكتور الحفناوي في عام ١٩٥٤ وطلب منه دراسة عن أثار تأميم قناة السويس من ناحية القانون الدولي . وقد ظل الدكتور الحفناوي وكنت أنا معه في عمل هذه الدراسة وقدمناها إلى جمال عبد الناصر . قبل تأميم القناة .. إذن لم يكن تأميم القناة قرارا وليد اللحظة أو رد فعل لقرار البنك الدولي بسحب الموافقة على

تمويل السد العالي . كما أنه لم يكن قرارا فرديا اتخذه عبد الناصر في ثورة غضب كما قيل . لقد أعد للأمر عدته وفي سرية تامة ضمانا للنجاح وقد غضب أنور السادات وعبد الحكيم عامر لأنه لم يستشيراهما في قرار التأميم .. وقد فوجئنا ولكننا لم نفاجأ فقد كنا نعرف قبل ذلك بعامين ، وقد استشار أساتذة القانون الدولي في سرية تامة.

لم يكن عبد الناصر ديكتاتورا وأرجو أن تعود إلى مضابط اجتماعات مجلس الوزراء أو التنظيم الطليعي التي كان يحضرها جمال عبد الناصر لتعرف أنه كان – ودائما – آخر المتحدثين وسوف تتأكد من وجود ديمقراطية لم توجد في مصر في أي وقت من الأوقات ، ولم يكن جمال مستأثرا بالرأي أو متمسكا به ، وكان يترك النقاش يجرى في جو من الحرية دون تدخل حتى في لحظات التشنج وانفلات الأعصاب وفي نهاية الاجتماع كان يقول رأيه بصراحة فإذا به الرأي الأصوب والأقرب إلى الحق . ولهذا كان يحصل على موافقة أغلبية الحاضرين

رجال حول المشير

يحاول البعض أن يبرئ جمال عبد الناصر من السلبيات التي كانت تجري في الواقع فيقول بأنه لم يكن يعلم عنها ، فهل كنتم – حقيقة تحجبون بعض الحقائق – عنه إشفاقا عليه أو خوفا منه ؟

– كان جمال عبد الناصر يعرف كل صغيرة وكبيرة تجرى على أرض الواقع وكان له مصدران للمعرفة ، إدارة الشكاوى وتقارير التنظيم لم يكن أحد يجرؤ على إخفاء حقيقة عن الرئيس لأنه متأكد أن الرئيس سوف يعرفها من مصادر أخرى فيخاف من الكتمان . وحينما كان الرئيس يعرف سلبية من السلبيات كان يواجهها بشجاعة والسلبية الوحيدة التي وقف الرئيس عاجزًا أمامها . وترك أمر مواجهتها إلى حين هي سلبيات المشير عبد الحكيم عامر ، وكان المشير قد أصبح بالفعل قويًا مستعينا

بالجيش وكبار قادته بعد أن وضعهم في جيبه بما كان يمنحهم من امتيازات ومخصصات .. وقد شهدت إحدى الوقائع بنفسي حينما رأيت مدير مكتب المشير على شفيق يمنح أحد كبار الضباط مبلغ أربعة آلاف دولار كمساعدة من المشير ليعينه بها على تجهيز إحدى بناته للزواج .. وقد حاول الرئيس أكثر من مرة أن يعيد المشير إلى صوابه ، ولكنه فشل في ذلك بسبب الرجال المحيطين به أمثال صلاح نصر وعلي شفيق وشمس بدران وعباس رضوان .. وغيرهم ومعظم السلبيات التي قيلت عن فترة حكم جمال عبد الناصر خرجت من مكتب المشير ورجاله.

عرض الرئاسة على لطفي السيد

هل كان عبد الناصر كما قال البعض عنه – يسعى إلى الزعامة الشخصية ويبذل من أجلها الكثير حتى لو كان من نتيجة ذلك الخسائر الفادحة؟

- هذه تخرصات وأكاذيب ملفقة والدليل على ذلك أنه في بداية الثورة ورغم أنه – كما هو معروف – العقل المدبر ، والقائد الحقيقي لها إلا أنه رفض أن يتولى السلطة كرئيس للجمهورية . وجاء باللواء محمد نجيب ليكون أول رئيس لجمهورية مصر بدلا منه وقد فكر جمال في تقليد الأستاذ لطفي السيد منصب الرئيس ، ولكن الرجل أبى ذلك وقال لجمال عبد الناصر حين فاتحه في الأمر أنتم الشباب أولى من أي أحد . ومصر في حاجة لجهود الشباب أكثر من الشيوخ أمثالنا ، لقد أدينا رسالتنا وعليكم تكملة المشوار .. وأمام إصرار لطفي السيد على الرفض لم يجد جمال عبد الناصر مفرا من إسناد المهمة لمحمد نجيب ، ولم يكن جمال عبد الناصر يهرب من المسؤولية – كما توهم البعض فقد نجحت الثورة منذ أول يوم وزال الخطر عنها بعد رحيل الملك ، كما أن جمال لم يكن يرى المنصب اكبر منه ، و أراد أن يسنده إلى من هو أكبر منه ، كما يتوهم البعض أيضا – فقد كان شديد الثقة في نفسه .. لدرجة

أنه كان يذهب إلى زعماء الأحزاب السياسية قبل الثورة وهو لم يتجاوز الثانية عشر بعد .. ويناقشهم في أدق القضايا السياسية ويعلن أمامهم رأيه بصراحة وشجاعة تامة.

أريد أن أقول أن جمال فعل ذلك لأنه كان يريد أن يتوارى في الظل ، إنكارًا للذات ، في الوقت الذي يتحمل فيه المسؤولية فعلا ، كان جمال يتحلى بالتواضع الشديد وإنكار الذات والشجاعة والثقة في النفس والاعتداد بها غير أن الزعامة هي التي كانت تسعى إليه بحكم تكوينه الشخصي ، كانت زعامة جمال زعامة طبيعية وغير مصطنعة ، كان يتمتع بحضور غير عادي ونظرات ثاقبة وعميقة ، وهذه الصفات الشخصية رشحته زعيما في كل مراحل حياته منذ أن كان طالبا وحتى خرج إلى الحياة العامة . لم يكن هناك من يجاريه أو ينازعه الزعامة التي وجد نفسه بها ومجبولا عليها.

6

حسن النشار

شقيق عبد الناصر في الرضاعة

المستشار حسن النشار :

❖ من هو «الباشا» الذي توسط لدخول عبد الناصر الحربية ؟!

❖ عبد الناصر كان يحب التمثيل ويهوي الغناء لعبد الوهاب !

❖ فصلوه من المدرسة فهتف التلاميذ «عاش جمال عبد الناصر» !

❖ من هي الفتاة التي أحبها جمال لأول مرة ؟!

في كتابه «فلسفة الثورة» كتب جمال عبد الناصر رسالة إلى صديق له بدأها بكلمة (عزيزي حسن) .. فمن هو صديقه حسن ؟ وماذا كان يكتب له في رسائله ؟ وما هي الاهتمامات التي كانت تشغل تفكير الطالب جمال عبد الناصر في هذه المرحلة المبكرة من حياته ؟

لقد التقيت مع المستشار حسن وصفي النشار الذي كان جمال عبد الناصر يوجه له معظم رسائله قبل الثورة ويفكر معه بصوت عال على الورق ويكلفه ببعض المهام العائلية والعامة .

والمستشار حسن النشار لم يكن مجر صديق لجمال عبد الناصر بل كان أخاه في الرضاعة ثم زميل دراسة وزميل كفاح ورفيق سجن ... لقد جمعتهما الثورة وفرقهما الموت !

وبعد فترة طويلة أمضاها حسن النشار متفرجا على «مسرحية هزلية» بعد رحيل رفيق عمره جمال عبد الناصر ، قرر أن يتكلم ويدلي بشهادته أمام الله وأمام التاريخ .

وهو هنا لم يكتف بمجرد الكلام ولكنه قدم ما لديه من وثائق يرد بها على كل حملة الهجوم الضارية التي تعرض لها صديق عمره عبد الناصر والتي حاولت النيل من مبادئه ومن شخصه والإقلال من شأنه إنسانا وزعيما ، حتى وصل الأمر بهؤلاء إلى التشكيك في نشأته وعلاقته بأقرب الناس إليه وفي رسائل جمال عبد الناصر بخط يده لصديق صباه حسن النشار وتظهر الحقيقة جلية تصحيحاً لبعض الوقائع التاريخية التي حاول البعض طمسها أو تشويهها عمداً خدمة لأغراض باتت معروفة للجميع .

متى كانت بداية مشواركما معاً ؟

ـ كان والدي موظفا بمصلحة البريد وزميلا للحاج عبد الناصر والد جمال

عبد الناصر ، وقد عملا معا بمحافظة البحيرة جنوب الإسكندرية وهنا التقيت مع جمال لأول مرة كنا لا نزال أطفالا دون الخامسة من العمر وقد رضع أخوة جمال الصغار مع أخوتي الصغار حيث كان من عادة السيدات في تلك الفترة إرضاع أطفالهن بالتبادل ، ثم تفرقت بنا سبل الحياة ، ولكننا التقينا مرة أخرى بالقاهرة بعد ما يقرب من عشر سنوات أمضاها كل منا بعيداً عن الآخر بسبب تنقل أبوينا في العمل وقد انتقل جمال إلى نفس المدرسة التي كنت بها في حي (الظاهر) واسمها مدرسة النهضة وقد تصادقنا من أول يوم وصل فيه جمال إلى المدربة دون أن نتذكر طفولتنا ... فقد تغيرت أشكالنا كثيراً عما كانت عليه حين كنا أطفالا ... وحينما اصطحبت جمال إلى البيت تعرفت عليه والدتي وذكرت كلامنا بالآخر .. وتوطدت الصداقة أكثر ، وحينما عرفت أمي أن أم جمال قد ماتت .. أبقته في بيتنا .. فعادت إلينا الصداقة والأخوة والزمالة من جديد ... وبقينا في مدرسة النهضة معا ثم انتقلنا إلى دراسة الحقوق معا ، ولكن جمال ترك الدراسة بالحقوق وانتقل إلى الحربية . ولكنه ظل يقيم معنا بعد أن خصصت له أمي غرفة في منزلنا ... مثل بقية أبنائها .

الكفاح مبكراً

متي بدأتم الكفاح ضد الإنجليز وكيف كنتم تمارسونه ؟

- في سنة ١٩٣٣ كان جمال طالبا في مدرسة رأس التين الثانوية بالإسكندرية ولم يكن قد بلغ الخامسة عشر من عمره حين شارك في أول مظاهرة طلابية قام بها طلاب الإسكندرية بميدان «المنشية» وقد أصيب فيها جمال بهراوة أحد رجال الشرطة الذين تصدوا للمظاهرة ... وحينما عاد إلى المدرسة كون لجنة لتنظيم المظاهرات ضد الاحتلال والسيطرة ... وحين ضاق المسؤولون بالمدرسة ذرعاً بسبب نشاطه حذروا والده الذي أرسله إلى القاهرة ليعيش مع عمه خليل ... وكان

موظفا صغيراً بوزارة الأوقاف ومن ثم التحق جمال بمدرسة النهضة الثانوية .

وفي النهضة الثانوية أعاد جمال تكوين اللجنة الطلابية التي كانت بمثابة تنظيم سياسي صغير . وكانت تتكون من أربعة وعشرين طالبا مقسمين إلى ثلاث مجموعات كل مجموعة من ثمانية طلاب تتولي عملا محددا .. كانت المجموعة الأولى لقيادة الحركة ... وتحديد ميعاد المظاهرة ورسم خط سيرها والاتصال بالمدارس الأخرى لنفس الغرض ، وتوحيد الهتافات وحمل الأعلام ومفاوضة المدرسين ومناقشتهم وكذلك مناقشة القادة السياسيين من الأحزاب المصرية . وكان جمال على رأس هذه المجموعة . فضلا عن رئاسته للجنة كلها .

والمجموعة الثانية للحماية ...وهي تتكون من ثمانية طلاب رياضيين يتولون حماية المظاهرة والدفاع عنها والاشتباك المباشر مع المهاجمين وكذلك حمل الجرحى وغيرها من المهام التي تحتاج إلى قوة بدنية .

والمجموعة الثالثة مهمتها الاتصال بالأحزاب المصرية ومعرفة أسرارها وخططها وتحالفاتها وآرائها ومواقفها من الحركة الوطنية . وحين تشكلت لجان الطلبة في بقية المدارس الثانوية الأخرى في أنحاء القاهرة كان جمال عبد الناصر هو رئيس اللجنة التنفيذية العليا لطلاب المدارس الثانوية وهي اللجنة التي تتولي الاتصال بالمدارس لإخراج طلابها في المظاهرات والاتصال بطلبة الجامعات لتوحيد الحركة . والاتصال بالأحزاب السياسية لتلقي العون والمساعدة .

وفي نوفمبر ١٩٣٥ أصيب جمال عبد الناصر بشظية في جبينه وسال الدم غزيراً من رأسه وذلك في المظاهرة الكبيرة التي قامت في ذكري عيد الجهاد «ذكرى مطالبة سعد زغلول والوفد المصري لانجلترا باستقلال مصر» وقد أسرع به زملاؤه وأدخلوه إلي مبني جريدة «الجهاد» التي كان يرأس تحريرها توفيق دياب وتم

إسعاف جمال عبد الناصر . وفي الصباح التالي نشرت الجهاد صورة جمال عبد الناصر والدم يسيل من وجهه كما نشرت «المصور» صورة جمال عبد انناصر وهو يقود المظاهرة في شوارع القاهرة .

وفي هذه المظاهرات سقط عدد من الشهداء منهم إسماعيل الخالع ومحمد عبد المجيد مرسي طالب الزراعة ، ومحمد عبد الحكم الجراحي الذي كتب عبد الرحمن الشرقاوى قصة عنه .

التلميذ الخائن

ورغم منع المظاهرات وقرار الفصل لكل تلميذ يشارك في مظاهرة إلا أننا لم نهدأ ... وقد وقف جمال على رأس مظاهرة كبيرة قامت للمطالبة بعودة الدستور وما أن دخلت المظاهرة شوارع وسط المدينة حتى انهال رجال البوليس عليها بالعصى والهراوات . وقد جرح جمال مرة أخرى . وقبض عليه وأودع السجن بقسم الموسكي .

وذات يوم صدر تصريح من رئيس الوزراء يتهم فيه الطلبة المحرضين على المظاهرات بالخيانة ، وكانت تلك إشارة واضحة لفصلهم من المدارس وحين أقدم ناظر مدرستنا على فصل جمال عبد الناصر تظاهر الطلاب وهددوا بحرق العنابر المخصص لمبيت طلاب القسم الداخلي . وهنا لم يجد الناظر بدا من التراجع عن قراره ..ولكن الطلاب أصروا على أن يذهب بنفسه إلى بيت جمال عبد الناصر ويحضره إلى المدرسة . وحين ذهب الناظر عاد ومعه جمال في عربة حنطور دخل بها المدرسة وسط هتافات الطلاب «تحيا مصر ... عاش جمال عبد الناصر» .

وقد رفضوا دخول جمال الكلية الحربية حين تقدم لها لأول مرة بسبب زعامته السياسية . ورغم اجتيازه لكل الاختبارات المقررة . ثم دخل الحقوق وعاد فالتحق

بالحربية التي كان مصرا على الالتحاق بها وقد ذهبت معه لمقابلة اللواء إبراهيم خيري وكيل الحربية الذي أعجب بشجاعة جمال ولباقته فوافق على التحاقه بالحربية إذ أنه كان يرأس لجنة كشف الهيئة للطلاب المتقدمين .

يقرأ ... ويغني

كيف كان جمال يقضي أوقات فراغه في سنوات عمره المبكرة ؟

- لم يكن هناك وقت فراغ في حياة جمال عبد الناصر ... كان شديد الحب للقراءة ... وفي مكتبة مسجد الشعراني بباب الشعرية كان جمال يلتهم الكتب الإسلامية وكتب التراث والشعر . وكان الأستاذ محمد القوني بمدرسة النهضة معجباً بشخصية جمال فكان يزوده بالكتب السياسية والأدبية وكتب التراث . وكان يقرأ لتوفيق الحكيم وخاصة «عودة الروح» ومحمد حسين هيكل . والعقاد . وطه حسين . والكواكبي . فقرأ «طبائع الاستبداد» وأم القرى وكان الكواكبي معروفا بكرهه للاستعمار والإقطاع والاستبداد ومن دعاة العودة إلى الحضارة العربية والمجد العربي القديم . وكذلك كان يقرأ لأحمد أمين وكتاباته عن تجديد روح الإسلام . وكان يقرأ صحيفة «الأخبار» التي كان يصدرها أمين الرافعي المعروف بعدائه للإنجليز ودعوته للثورة ضدهم .

وحين دخل الحربية كان يقرأ الكتب التي تعني بالإستراتيجية والتاريخ العسكري وكتب الجغرافية والمعارك الحربية مذكرات القادة أمثال نابليون وغيره .

ولم يكن جمال منطويا كما حاول أعداؤه أن يصوره وكنا نخرج إلى السينما وإلى مسرح يوسف وهبي . ويحب سماع أم كلثوم وعبد الوهاب خاصة أغنية «عندما يأتي المساء» ... وقد شارك في فريق التمثيل بمدرسة النهضة ومثل دور«يوليوس قيصر» على المسرح ، ولم يكن ممثلا جيداً ولكنه كان يجيد فن الإلقاء والخطابة ... وبه يغطي

على مقدرته التمثيلية المتواضعة وكان يؤثر القلوب بنظراته النافذة وصوته الجهوري القوي ، وكان يحب الاستماع لصوت الشيخ محمد رفعت ويحفظ الكثير من التواشيح والأغاني وكان يردد بعضها في لحظات السكون ... خاصة أغنيات عبد الوهاب .

أحب ... دون ابتذال

ألم يقع في الحب مثل الشباب في سنه ؟

ـ كان جمال يملك قلبا رقيقاً ، ونفسا تتميز بالحساسية وقد وقع في الحب ... مثلنا جميعا ، وقد أحب لأول مرة ، إحدى زميلاته بمدرسة النهضة الثانوية ، وتقدم لخطبتها بواسطة أمي ـ التي كانت بمثابة أمه ـ ولكن أهل الفتاة رفضوا زواجها قبل أختها التي تكبرها سنا ... وقد عرضوا على أمي أن أتزوج أنا الكبيرة ويتزوج جمال الصغيرة ـ فتاته ـ ولكن أمي رفضت لأنني كنت لا أزال طالبا بالحقوق بينما كان جمال قد تخرج من الحربية .

وقد حاولت أمي التقدم لعدد من الأسر العريقة بمدينة دمياط «بلدها الأصلي» لخطبة إحدى بناتها لجمال عبد الناصر ولكنهم رفضوا جميعاً الاقتران بضباط بالجيش المصري لأنه بلا مستقبل ! .

والطريف أن أمي تقدمت لخطبة إحدى الفتيات لجمال ولكنه رفضت ثم تبين فيما بعد أنها شقيقة لزوجة عبد اللطيف البغدادي عضو مجلس قيادة الثورة !!!

أما السيدة «تحية» زوجة جمال ـ رحمها الله ـ فقد كانت ابنة تاجر سجاد بالعباسية وقد تزوجها عن طريق عمه خليل ... وقبل الزواج لم يكن لجمال أية علاقات نسائية مثل غيره من الشبان في تلك السن ... وكان مثلا في عفته وطهارته .. فلم يذق الخمر في حياته وكان يداوم على الصلاة والصوم .

علاقته باليهود

في إحدى الكتب المشبوهة التي صدرت مؤخراً .. يتحدث المؤلف عن علاقات بين جمال عبد الناصر وبعض اليهود المصريين في فترة نشأته الأولى.. فما حقيقة ذلك ؟

ـ هذا ادعاء كاذب ... ومحض افتراء باطل ، الغرض منه معروف ومفضوح ، فلم يعرف جمال عبد الناصر يهوديا في حياته غير اثنين من زملائنا بمدرسة النهضة أحدهما هو إيليا عازر والآخر هو سعد ملكي لوتو ، كانا مجرد زميلين ولم يكونا أصدقاء لأي منا ... رغم أنهما لم يكونا متعصبين أو من المهتمين بالأمور السياسية وكان الزميلان اليهوديان يسكنان حي السكاكيني بينما جمال يسكن في الخرنفش شارع خميس العدس ... أي أنهما لم يكونا جارين لجمال عبد الناصر ، ولم تربطهما سوى علاقة الزمالة بالمدرسة . وهي علاقة تربط بين جميع الطلاب ولم يختص بها جمال وحده دون بقية الزملاء .

علاقته بالأسرة

قال أحد الكتاب أن الحاج عبد الناصر كان يقبل يد ابنه جمال ، وأن الابن لم يكن يحترم أبيه على النحو المعروف بين الابن وأبيه ؟

ـ هذا ليس مجرد كذب .. ولكنها (سفالة وقلة أدب) فقد كان الحاج عبد الناصر ـ رحمه الله ـ يلقى الاحترام منا جميعا . وأولنا جمال عبد الناصر كان يتحدث عنه باحترام وفخر ، ورغم فقر الأب وحاجته الدائمة لمساعدة ابنه جمال في تربية أشقائه ، وكان جمال لهم جميعا نعم الأخ والنصير فلم يتخل أبدا عن واجبه تجاههم رغم قلة مرتبه ... وقد ظل كذلك حتى بعد الزواج وعندي الكثير من الرسائل التي جاءتني منه يحدثني فيها عن مساعدته لأهله وأخوته ... ويطلب مني أن أساعدهم حين تعجزه ظروفه عن ذلك فقد كنا أخوين وعلى أن أقوم بما يعجز عنه هو .

وكان جمال وفيا جداً ويكفي أن أقول أنه أطلق اسم زوجتي «هدي» على ابنته الكبرى كنوع من الوفاء ... فقد باعت زوجتي مصاغها لتساعده في نفقات الزواج ... وقد رد جمال المبلغ فيما بعد .. ورغم ذلك فقد اعتبر الموقف جميلا من زوجتي ... وأطلق اسمها على ابنته الكبرى اعترافا دائما بالجميل .. فهل هناك وفاء أكثر من ذلك . وإذا كان جمال وفيا إلى هذا الحد مع أصدقائه فكيف يكون مع أهله ...خاصة مع أبيه ؟

عبد الناصر ...والأحزاب

بقي أن نعرف علاقة جمال عبد الناصر بأحزاب ما قبل الثورة ودور أنور السادات فيها .. وقصة تنظيم الضباط الأحرار ؟

- حين كان جمال طالبا في مدرسة رأس التين الثانوية ، التحق فعلا - ١٩٣٤ - بحزب مصر الفتاة وعلق على صدره شعار الحزب «الأهرام الثلاثة» وحين جاء إلى القاهرة . اختلف مع قادة الحزب وخلع الشعار وقطع كل علاقة به .

وقبل أن يلتحق بالكلية الحربية بأيام أقنعه الدكتور محمد بلال بالالتحاق بفريق (القمصان الزرق) التابع للوفد . وقد تسلم الزى الخاص بهم فعلا ولكن دخوله الحربية بعد أيام حال دون استمراره معهم وانقطعت صلته بهم بعد ذلك .

وقد فوتح للانضمام للحزب الشيوعي ولكنه رفض لما هو معروف عنه من تدين واضح وقد شاعت في ذلك الوقت علاقة الشيوعية بالإلحاد .

أما بالنسبة للإخوان المسلمين فقد رفض جمال الانضمام إليهم لتعصبهم الزائد . وكان معروفا عن جمال أنه يكره التعصب ، ولكن الإخوان هم أكثر الناس الذين تعاون معهم جمال عبد الناصر قبل الثورة . وقد مد الصاغ محمود لبيب الإخوان بالكثير من قطع السلاح كما كان يقوم بتدريب الإخوان على استعمال السلاح ...

خاصة بعد أن اقتنع جمال بأنه لا سبيل أمام المصريين لإخراج الإنجليز سوى استعمال السلاح .

وبعد أن عاد من حرب فلسطين تم التحقيق معه من قبل إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء في ذلك الوقت ... بسبب تهريبه للسلاح وتعاونه مع جماعة الإخوان المسلمين أما عن دور السادات ليلة الثورة . فقد مر جمال ومعه عبد الحكيم عامر على منزلنا ليلة الثورة ليسأل عن السادات الذي كان يسكن بجوارنا بالمنيل .. واخبرني جمال أنه لم يجد السادات بمنزله . وطلب مني أن أذهب إليه وأستدعيه فورا ، وذهبت إلي منزل حماته السيدة المالطية الأصل «جلاديس» وعرفت منها أنه في السينما مع جيهان ، واصطحبتها معي إلى السينما ، ودخلت تستدعيه ثم عادت لتقول لي أنه سيلحق بك في المنزل بعد انتهاء الفيلم ! .

أما عن بداية تنظيم الضباط الأحرار فأعتقد أن جمال بدأ التنظيم بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ - وهو اليوم الذي فرض فيه الإنجليز بالدبابات حكومة الوفد على الملك مما أثار السخط العام خاصة في أوساط الجيش - وقد استغل جمال هذا الشعور وبدأ في الإعداد لقيام تنظيم الضباط الأحرار . وقد أكثر جمال بعد هذا الحادث في رسائله المكتوبة إلى من ذكر ضرورة عمل شيء عام وكبير لإزاحة الإنجليز والقضاء على الفساد في مصر .

حادث ٤ فبراير ١٩٤٢

في العلمين على حدود مصر الغربية كتب هذه الرسالة عام ١٩٤٢ إلى صديقه حسن النشار :

- إن خطابك جعلني أغلى غليانا مرا ..وكنت على وشك الانفجار من الغيظ ، ولكن ما العمل بعد أن وقعت الواقعة ، وقبلناها مستسلمين خاضعين خائفين ؟

والحقيقة أني أعتقد أن الاستعمار يلعب بورقة واحدة في يده ، بقصد التهديد فقط ، ولكن لو أنه أحس أن بعض المصريين ينوي التضحية بالدماء ويقابل القوة بالقوة ، لانسحب يجر أذيال الخيبة والفشل ، وطبعا هذا حاله أو تلك عادته ... أما نحن أما الجيش فقد كان لهذا الحادث التأثير الجدي على الروح والإحساس فيه ، وبعد أن كنت ترى الضباط لا يتكلمون إلا عن الفساد واللهو أصبحوا يتكلمون عن التضحية والاستعداد لبذل النفوس في سبيل الكرامة ، وأصبحت تراهم وكلهم ندم ، لأنهم لم يتدخلوا ـ مع ضعفهم الظاهر ـ ويردوا للبلاد كرامتها ويغسلوها بالدماء ... ولكن غدًا لناظره قريب .

لقد حاول البعض بعد الحادث أن يعمل شيئا بغية الانتقام ... ولكن كان الوقت قد فات ... أما القلوب فكلها نار وأسى ، عموما فإن هذه الحركة ... هذه الطعنة ردت الروح إلى بعض الأجساد وعرفتهم أن هناك كرامة يجب أن يستعدوا للدفاع عنها هذا درسا ...ولكنه كان درسا قاسيا .

كتب عبد الناصر هذه الرسالة بعد حادث ٤ فبراير الذي فرض فيه الإنجليز حكومة الوفد بقوة الدبابات على المصريين ... فأثار هذا الحادث غضب عبد الناصر لتعارضه مع عزة مصر وكرامتها .. وبعد عشر سنوات من هذا التاريخ قام عبد الناصر بثورته وإخراج الإنجليز من مصر .

عيبي أنني «دوغري»
لا أعرف التمسح بالأذيال

في جبل الأولياء بالسودان كتب جمال عبد الناصر هذه الرسالة في عام ١٩٤١ ، يقول له فيها :

ـ هنا في عملي كل عيبي أنني «دوغري» لا أعرف الملق ولا الكلمات الحلوة ولا التمسح بالأذيال ، شخص هذه صفاته يحترم من الجميع ، ولكن الرؤساء ... الرؤساء يا حسن يسوءهم ذلك الذي لا يتملق إليهم ، فهذه كبرياء وهم شبوا على الظلم في كنف الاستعمار . الويل كل الويل لذلك المتكبر ـ كما يقولون ـ الذي تأبى نفسه السير على منوالهم ، يعاديه الجميع ، ويحزنني يا حسن أن أقول أن هذه السياسة نجحت نجاحا باهرا ، فهم يصهرون نفوس الشباب ، وكلهم شبان لم تصقلهم الأيام ، ويحزنني يا حسن أن أقول أن هذا الجيل الجديد قد أفسده الجيل القديم ، فأصبح منافقا متملقاً .. ويحزنني يا حسن أن أقول أننا نسير نحو الهاوية .. الرياء .. النفاق . الملق تفشي في الأصاغر . نتيجة لمعاملة الكبار .. أما أنا فقد صمدت وما زلت ولذلك تجدني في عداء مستحكم مستمرا مع هؤلاء الكبار .. وإذا فكرت في المستقبل فلا يمكن أن أقول ... غير لا حول ولا قوة إلا بالله .!!

في هذه الرسالة يفسر جمال عبد الناصر لماذا كان يراه البعض متكبرا أحيانا ... فالذين كانوا يرونه متكبراً ، هم في الحقيقة قد رأوه غير متملق.أو منافق بدرجة كافية .. !!

7

د. الصاوي حبيب

❖ كان يكره الحقن ويقول: علاج الوجع أكثر ألماً من الوجع !

❖ وفاة عبد الناصر طبيعية دون أية أعراض للتسمم !

❖ زوجته كانت تعد له طعامه الخاص بنفسها !

لا تزال وفاة عبد الناصر - رغم مرور أكثر من عشرين عاما عليها - تمثل لغزا عصيا على الحل ...

الأمريكان قالوا أن الروس قتلوه ... والروس قالوا أن الأمريكان هم الذين فعلوها ... واليمين أتهم اليسار ، واليسار ألصقها باليمين ... ولكن أحدا لم يبحث عن حل لهذا اللغز عند أهل الحل ... أطباؤه المعالجون ، وهم الذين ظلوا فترة طويلة خارج الحلبة يتفرجون على ما جرى داخلها بين أطراف النزاع وكأن الأمر لا يعنيهم .. فقد ظلوا ينظرون إليه على أنه نزاع سياسي وليس نزاعا طبيا . وأيا كانت حقيقته ومظاهره كان عليهم أن يتحدثوا لإحقاق الحق وإنصاف العدل .

وإذا كان الدكتور منصور فايز قد أصدر مذكراته حول تلك الفترة وأجاب عن العديد من التساؤلات التي طرحناها عليه إلا أن بعض التساؤلات كان يحتاج لإجابات من غيره ... من الدكتور الصاوي حبيب على وجه التحديد ، فهو الطبيب الخاص أو المرافق للرئيس والذي كان يتولى تنفيذ البرنامج العلاجي الذي اتفق عليه فريق الأطباء . وطبيب تلك هي مهمته كان لابد أن يظل ملازما للرئيس أينما ذهب وحيثما حل . لهذا فإن شهادة الدكتور الصاوي الذي يتحدث لأول مرة تعتبر مهمة وخطيرة في الطريق الموصل إلى الحقيقة .

متي دخلت بيت جمال عبد الناصر لأول مرة كطبيب مرافق للرئيس ؟

- بعد النكسة مباشرة ... في عام ٦٧ أي أنني توليت مرافقة الرئيس عبد الناصر كطبيب خاص في أشد الظروف السياسية والوطنية قسوة .

من الذي رشحك لهذه المهمة ؟

- الذي اختارني لهذا العمل هو جمال عبد الناصر ... أما من الذي رشحني له فلا أعرف اسمه حتى الآن .

من الذي اتصل بك ليبلغك اختيار الرئيس لك كطبيب خاص ؟

- السيد محمد أحمد ، سكرتير الرئيس الخاص ، هو الذي أجري معي اتصالا تليفونيا ليبلغني باختيار الرئيس لي للقيام بهذه المهمة التي اعتبرها من وجهة نظري أنها كانت مهمة تاريخية ووطنية في آن واحد .

ما الذي دار بينكما في أول لقاء لك مع الرئيس ؟

- كان كل اهتمامي منصبا حول معلومات عن التاريخ المرضي للرئيس ونوع العلاج الذي يتعاطاه وآخر تقرير طبي عن حالته ، ثم أجريت الكشف الطبي عليه لأقف بنفسي على حالة الرئيس والمدى الذي وصلت إليه .

ألم يتحدث معك الرئيس عن أسباب اختياره لك ؟ ألم يتطرق معك إلى أي موضوع شخصي كأن يسألك عن ظروفك وأحوالك ، كما كان يفعل دائما مع الذين يقابلهم لأول مرة ؟

- لم يحدث شيء من ذلك ، فلا هو سألني عن أسباب اختياره لي ولا أنا سألت بدوري ، لأن اختياره في الغالب تم عن طريق الأسرة أو عن طريق السيد/ محمد أحمد سكرتيره وهو بالتأكيد يعرف عني كل شيء وإلا لما اختارني لأكون بجواره في هذه المهمة الخطيرة «طبيب الرئاسة وطبيب الرئيس» .

وهل كان السيد محمد أحمد يعرفك قبل ذلك ؟

- نعم كان يعرفني بحكم أنني كنت طبيباً بالرئاسة ضمن فريق طبي يعمل هناك منذ فترة ، فلم أكن جئت من الخارج .

هل كنت ضمن أطباء الجيش الذين كانوا يتولون علاج الرئيس ويشرفون على صحته العامة ؟

ـ نعم ، كنت طبيبا بالقوات المسلحة والتحقت بالرئاسة ، فأطباء الرئيس في ذلك الوقت كانوا من العاملين بالمستشفيات العسكرية .

يدخن بشراهة

بالطبع كان الرئيس يدخن ، فهل تحدثتم معه في أمر الامتناع عن التدخين نظراً لخطورة ذلك على صحته ؟

ـ نعم كان الرئيس يدخن، ويدخن بشراهة ، كان يدخن بمعدل علبتين في اليوم أي حوالي ٤٠ سيجارة وقد حاولنا إيقافه عن التدخين ولكنه كان عنيداً معنا في هذا الموضوع بالذات ، فقد كان التدخين هو متعته الوحيدة . وأذكر أنه في بداية عملي كتبت تقريراً عن حالته الصحية وذكرت فيه الأسباب التي تستوجب امتناعه عن التدخين ، ولكن الرئيس لم يأخذ به وظل يدخن حتى امتنع عنه بعد أن حدثت له مضاعفات نتيجة مرض السكر الذي أصيب به منذ عام ١٩٥٨ .

وهل حدثت له بعض التوترات العصبية التي تصاحب حالة الامتناع عن التدخين ؟

ـ مطلقا لم يحدث ذلك ... وكان طبيعيا إلى أقصي حد . وأصبح الرئيس بعد امتناعه عن التدخين كأنه لم يدخن في حياته ، ولم يكن يتضايق لرؤيته أحد المدخنين أمامه . أو من رائحة الدخان .

هل قررتم ـ أنتم الفريق المعالج للرئيس ـ برنامجا للعلاج الطبيعي ليساعد على سرعة شفاء الرئيس خاصة بعد إصابته بآلام الساق اليمني ؟

ـ نعم حدث ذلك ... وإذا كنت تقصد اسم الدكتور على العطفي الذي رددت بعض الجهات أنه كان يقوم بتدليك الرئيس بنوع من السم يسري في جسده ببطء

ليقتله ، فهذا كلام فارغ ، ولم أسمع باسم مثل هذا الطبيب من قبل إلا حينما ذكرته بعض الصحف . وسمعته مثلك تماما ، وإذا كنت تعرف طبيبا بهذا الاسم فأنا أعرفه أيضا ... إنه اسم وهمي لشخصية وهمية وليس جمال عبد الناصر هو الرجل الذي يحضر طبيبا من وراء ظهر فريقه الطبي .

الدكتور فودة ... وليس العطفي!

إذن من هو الطبيب الذي قام بالعلاج الطبيعي للرئيس ؟

- طبيب العلاج الطبيعي للرئيس هو الدكتور محمد فودة رئيس قسم العلاج الطبيعي ،وكان عائدا من إنجلترا بعد أن أنهي دراسته هناك .

ومن الذي رشح له اسم الدكتور محمد فودة ؟

- لم يرشحه أحد ، فقد سألنا عن رئيسي قسم العلاج الطبيعي بالقوات المسلحة ، فقالوا لنا اسمه الدكتور محمد فودة ، فطلبنا حضوره إلى بيت الرئيس ليقوم بعلاجه طبيعيا .

هل جرت تحريات كافية على أي طبيب جديد يدخل بيت الرئيس؟

- بالتأكيد كان هناك نظام معمول به ولكني لم أقف عليه بالضبط ، وبالنسبة للدكتور محمد فودة جاء فور طلبنا له ولم يكن هناك وقت يسمح بعمل تحريات ، ولكنه بالتأكيد كان معروفا لدى الجهات الأمنية لأنه كان بالقوات المسلحة . وقد كانت هناك احتياطات أمنية كافية بمنزل الرئيس فعلى سبيل المثال لم يكن أحد من أطباء الرئيس يحمل حقيبته أثناء الدخول أو الخروج لأن كافة الأجهزة الطبية التي قد يحتاجها في عمله كانت موجودة بغرفة الرئيس على الدوام .

وبالنسبة للدكتور محمد فودة تحضرني واقعة زيارته للرئيس لأول مرة فقد تبسط

كثيرا مع الرئيس في الحديث وكان يناديه بلقب(بك) وأخذ ـ أثناء الكشف على الرئيس ـ يتحدث عن الظروف السيئة التي مر بها المصريون والعرب في لندن أثناء الهزيمة وقال أن رؤوسهم كانت في الأرض ، وأنهم أصبحوا (ملطشة) للجميع ... وهكذا . وبعد أن انتهى الدكتور فودة وخرج خشيت أن يترك حديثه أثرا سيئا على نفسية الرئيس فقلت لا عليك من كلام الدكتور فودة فهو رجل طيب تحدث على سجيته .. فضحك الرئيس غير مبالي وقال لي : لو أن الدكتور فودة هذا سفير في الخارجية لفكرت في كلامه ووقفت عنده ... أما وأنه طبيب جاء ليكشف ثم يمضي إلى حال سبيله ، فاتركه ليقول ما يريد ... ولا يهمك .

وبالنسبة للدكتور فودة فقد كان طبيبا متخصصا درس بانجلترا ... كما أن وطنيته كانت فوق مستوى المناقشة .

هل كان من عادة الرئيس أن يخرج عن النظام الموضوع له طبيا ويستثني من القواعد المعمول بها في الطعام أو غيره ؟

ـ بالنسبة لمرض السكر يجب أن يكون هناك نظام يعمل به لضبط الأكل كما ونوعا وكذلك ضبط الانفعالات وردود أفعاله . وأذكر أنني جلست مع الدكتور إسماعيل عبد الله رئيس معهد التغذية في ذلك الوقت لأعمل برنامجا لغذاء الرئيس تحت إشرافه ... وقد تعبت نفسي كثيراً لإعداد هذا البرنامج فقد كان طول قامة الرئيس ١٨٣ سنتيمتر والوزن المناسب لهذا الطول هو من ٧٧ إلى ٨٤ كيلو جرام ولكن وزن الرئيس كان في ذلك الوقت حوالي ٩٠ كيلو جراما ، يجب ألا يتعداه ، والكميات التي يحتاجها في الوجبة الواحدة من البروتين والنشويات والفيتامينات وهكذا ... وكان ذلك في بداية عملي مع الرئيس ، وحين ذهبت إليه لأطبق هذا البرنامج وجدته ملتزما به بطبيعته ، فلم يكن من النوع الأكول ، ولم يكن ميالاً

للأكل بطبيعته وهذا سهل كثيرا من مهمتي معه .

هذا من ناحية الأكل ، أما من ناحية الانفعالات فلم يكن لأحد أي سيطرة عليه لكي يضبط انفعالاته ... وقد أحضرت له ساعة لقياس المسافات ، وكان عليه أن يمشي حوالي ٤٠٠ متر في الحديقة جيئة وذهابا .

فيما يختص بالأكل كان مريضا مثاليا ومطيعا ، ولم يكن أكولا حتى أننا كنا «نتريق» على طباخه الخاص ... لأنه مع شخص مثل جمال عبد الناصر - لا يستطيع أي طباخ مهما عظم شأنه أن يظهر مواهبه وكفاءاته الحقيقية ، حتى ان زوجته - السيدة الجليلة «تحية» هي التي كانت في أغلب الأحيان تعد له الطعام الذي كان سهلا وقليلا وعاديا بحيث يستطيع أي شخص - غير محترف - أن يقوم به .

الرئيس لم يكن عصبيا

هل كان الرئيس عصبيا - سهل (النرفزة) ؟

- إطلاقا ... لا أذكر أنني رأيته ذات مرة عصبيا أو عالي الصوت ، ولم يكن من النوع الذي تظهر على وجهه الانفعالات بسهولة حتى أنني دخلت عليه الغرفة ذات يوم - بعد أن قام اليهود بعملية إنزال على ساحل البحر الأحمر - ووجدته يذرع الغرفة جيئة وذهاب ... فسألته : حضرتك متضايق ؟ فاندهش الرئيس وسألني ليه هو باين على أنني متضايق ؟ إلى هذا الحد كان الرئيس حريصاً على كتمان انفعالاته عن الآخرين .

وفي ذات صباح سألته مطمئنا كالعادة : إن شاء الله حضرتك تكون نمت كويس قال الرئيس وآثار الإرهاق واضحة عليه : لم انم زى ما أنا عايز ... فسألته عن السبب فقال : جرس التليفون ضرب الساعة ثلاثة بعد منتصف الليل ... وحينما ... م يكون الا...

رآني مندهشا قال : كانت النمرة غلط ... واندهشت أكثر فتليفون الرئيس كان يعمل بنظام (التحويلة) أو (البدالة) أن عامل التليفون في المنزل هو الذي ارتكب هذا الخطأ المزعج . وحينما سألت السيد محمد أحمد سكرتيره ما العقوبة التي أنزلها به الرئيس نتيجة لهذا الخطأ الذي كلفه السهر طوال الليل .. عرفت أن شيئا لم يحدث ... وأن العامل لم يعاقب بل لم يعاتب .

هكذا كان الرئيس كاظما غيظه ، وكتوم في نفسه في كل الانفعالات التي كانت تنتابه لقد كان صاحب قدرة خيالية على ضبط أعصابه .

وهل ذلك كان يؤثر على حالته الصحية بالسلب؟

- بالتأكيد كان ذلك يؤثر على صحته تأثيرا سلبيا .

ألم تطلبوا منه - أن يقلع عن هذه الطبيعة وأن يعبر عن انفعالات وغيظه بطريقة تريحه ؟

– لم يحدث ... لقد كان يبدو هادئا وطبيعيا ...فكيف نطلب منه أن يثور وينفعل .

لقد كان هذا نوعا من العلاج العاجل والفوري ؟

- أنا في رأي الشخصي أن قيمة المرء تعرف من قيمة ما يثيره ... قيمتك تقاس بردود أفعالك فالشخص التافه هو الذي يثار بأمور تافهة ، والشخص القوي لا تؤثر فيه غير الأمور القوية ودائما أنظر إلى الشخص كثير الانفعالات والصراخ على أنه شخص ضعيف يحاول إخفاء ضعفه بعلو صوته وكثرة الصراخ . ولكي تثير جمال عبد الناصر يجب أن يكون الأمر جللا وعظيما ولم يكن يثار لأسباب عادية أو صغيرة .

يسأل الطبيب ولا يسأل المجرب

هل كان الرئيس يعتمد على بعض الوصفات أو نصائح المقربين أو يعمل بمبدأ اسأل مجرب ولا تسأل طبيب ؟

ـ لم يحدث هذا إطلاقا . وذات يوم أعطاه أحد أقاربه علاجا كان قد جربه لنزلة البرد وكان الرئيس يعاني أحد نزلات البرد الحادة في ذلك الوقت ـ ووجدت الرئيس يرسل في طلبي ليسألني إن كان يأخذ هذا الدواء أم لا .

لقد ذكر الدكتور منصور فايز في مذكراته أن أنور السادات كان يعطي عبد الناصر ببعض الأدوية التي جربها هو ؟

ـ ربما يكون ذلك قد حدث في حضور الدكتور فايز ولكن في حضوري لم يحدث ذلك وحسب تجربتي كان الرئيس يسأل الأطباء فيما يتناول من أدوية ولا يأخذ منها إلا ما يأمر به طبيبه . وأطباؤه هم الدكتور منصور فايز والدكتور ذكي الرملي والدكتور محمود صلاح الدين والدكتور على المفتي والدكتور ناصح أمين للتحاليل الطبية وأنا . ولم يكن يأخذ علاجا لم يقرره واحد من هؤلاء .

هل كان للأحداث التي تشهدها مصر والأمة العربية تأثيرها السلبي على صحة الرئيس أم أنه كان يستقبلها بهدوء ؟

ـ كان الرئيس يتأثر كثيراً بالأحداث والأمور من حوله ولكي يمرض الإنسان ـ أي إنسان ـ لابد له من عاملين : عامل وراثي مولود به «جيناته» وعامل آخر بيئي ، وكان العاملان متوفرين عند الرئيس ـ فكان أحد أخوته وأحد أعمامه مريضا السكر . أما العامل البيئي ، فقد كان للأحداث الخطيرة التي شهدها الرئيس في حياته ـ منذ وقت مبكر وحتى قام بالثورة وتولي مسؤولية الرئاسة حتى أنه أصيب بمرض

السكر وهو في الأربعين من عمره ثم حدثت له مضاعفات المرض إلى أن مات بسببها .

الرئيس لا يحب الحقن

قال أحد الكتاب أن طبيب أطفال كان يعالج الرئيس من مرض القلب ، فما مدي صحة ذلك ؟

- هذا محض افتراء وكذب ... فالدكتور محمود صلاح الدين كان عميدا لأطباء مصر . وكانت مذكراته ونحن طلاب في كلية الطب هي نبراسنا الذي نهتدي به . وكذلك الدكتور زكي الرملي أو منصور فايز أو غيرهم ممن شاركوا في علاج الرئيس حتى أنني - وأنا الطبيب المرافق - كنت حاصلا على الدكتوراه . لم يكن ضمن الفريق طبيب مبتدئ أو غير متخصص . هذا افتراء على الواقع والتاريخ .

هل كان الرئيس متبرما من العلاج أو لا يستسيغه فيرفضه ؟

- نعم كان متبرما ولكنه لم يكن يرفضه ، وكان لا يحب الحقن ، وقال لي ذات يوم : ربنا عارف أنني لا أحب الحقن فكتب على حقنة كل يوم ... وكان الرئيس يأخذ حقنة أنسولين ضد السكر صباح كل يوم .

هل كان يأخذ الحقن بنفسه ؟

- لم يحدث مرة أن أخذ حقنة بنفسه ، وحدث ذات مرة أننا كنا في (تسخالطوبو) بالاتحاد السوفيتي حيث كان الرئيس يعالج من آلام الساق بالمياه المشعة دخلت عليه ذات صباح فقال لي أنه لم ينم طوال الليل بسبب آلام الساق ... فاندهشت وسألته لماذا لم توقظني ؟ ولماذا أنا هنا معك وبيني وبينك غرفتان فقط ؟ قال الرئيس : لكى أوقظك كان لابد من إيقاظ محمد أحمد ثم تأتي حضرتك لتوجعني بالحقنة

فاحتملت الوجع حتى الصباح ... لأن علاج الوجع بوجع ..!

ما أهم الصفات التي كانت تميز عبد الناصر الإنسان كما رأيته ؟

ـ لم يكن عبد الناصر ـ كما أشاع عنه أعداؤه المغرضون ـ ميالاً للعنف أو متسلطا بل كان رقيقا وحساسا ومحترما للناس من الآخرين إلى أقصى حدود الاحترام . أذكر أنه كان إذا أعطى ميعاد لطبيب من أطبائه كان يحترم ميعاده جدا . وفي يوم من الأيام كان يتحدث مع السيد أنور السادات فوجده مريضا وكان الدكتور منصور فايز إلى جوار الرئيس فقال لأنور السادات : معك الدكتور منصور لتتفق معه على موعد لزيارتك والكشف عليك ، وأخذ الدكتور فايز السماعة من الرئيس الذي ما أن سمع أن الموعد في الساعة السادسة بعد ظهر الغد حتى أمسك بالسماعة وقال لأنور السادات : ألا تعرف أن الدكتور فايز يذهب إلى عيادته من الخامسة إلى السابعة وموعدك معه في السادسة سيشطب مواعيد عيادته .. وسيضايق مرضاه .. أرجو أن تتفق معه على موعد قبل ذلك أو بعده .

إلي هذا الحد كان الرئيس حريصا على مشاعر الآخرين ومصالحهم .

وفي ذات يوم كان موعدي معه في السابعة بعد الظهر وفوجئت بسكرتيره يبلغني أن الرئيس قدم موعده معي عشر دقائق فاندهشت وحينما ذهبت إليه قلت له : يا فندم عشر دقائق ليست مشكلة لأنني أحضر قبل الموعد بنصف ساعة ... فقال الرئيس : لقد ارتبطت بموعد مع رئيس وزراء السودان في السابعة ولو أنك حضرت في موعدك في السابعة ووجدتني مشغولا ستضطر لانتظاري وتعطل عملك مع الآخرين ... لهذا أردت أن أبلغك بتقديم الموعد حتى لا أضايقك .

إلى هذا الحد كان الرئيس حريصا على مشاعر الآخرين ، فلم يكن صلفا أو مغرورا أو متسلطا كما حاول الكارهون أن يصوره . وما من صورة بشعة وضعوه فيها إلا وكان

الرئيس على العكس منها تماما . وهناك عشرات القصص والأحداث التي رأيتها مع غيري أو شهدتها بنفسي وكلها تقول أن الرئيس كان على خلق كريم ومثاليا .

السالب والموجب في صحة الرئيس

ماذا كان يؤثر على صحة عبد الناصر بالإيجاب ويجعله يبدو كما لو لم يكن مريضا ويخفف من أثار المرض عليه ؟

ـ كان أكثر شيء يؤثر سلبا على صحة الرئيس أنه كان يعمل فوق طاقته ، وكان يعلم أنه يعمل فوق طاقته ولكن لم يكن ممكنا أن يخلد إلى الراحة أو أن يختلس بعض الساعات ليقضيها في سكينة . وكذلك كان من الأمور التي تؤثر على صحته سلبا بعض الأخبار السيئة التي كانت تأتيه من جبهة القتال بسقوط عدد من الضحايا ، خاصة من المدنيين ، وقد تعرض الرئيس لأول أزمة قلبية في حياته عام ١٩٦٩ حين قامت إسرائيل بعملية إنزال في الزعفرانة بالبحر الأحمر وقتلت عددا من خفر السواحل .

أما أكثر الأمور تأثيرا بالإيجاب على صحة الرئيس تلك الأخبار التي كانت تأتي عن إسقاط قواتنا لبعض طائرات العدو ، أو قيامها بعبور قناة السويس وتنفيذ عملية ناجحة . وقد زاد من تأثير الرئيس بعملية الزعفرانة أن قواتنا كانت قد قامت بعملية مماثلة بالبحر الأحمر وقد حذر الرئيس من أن إسرائيل ستحاول الرد بعملية مماثلة يجب أن يكونوا مستعدين لها ، ولكنهم لم يأخذوا تحذير الرئيس مأخذا جدياً مما يجعله يتأثر كثيراً .

أطباء زائرون

هل كان هناك أطباء أجانب ضمن الفريق المعالج للرئيس ؟

ـ لم يكن هناك أطباء أجانب ملازمون للرئيس بشكل دائم ، كان هناك أطباء

زائرون يوقعون الكشف على الرئيس كلما حضروا إلى القاهرة أو يتم استدعاؤهم في وقت الأزمات الحادة ليبدوا بعض ملاحظاتهم التي لم تختلف في أي وقت من الأوقات عن ملاحظاتنا نحن الأطباء المصريين ، ومن هؤلاء الدكتور «بولسون» من الدانمارك وهو متخصص في مرض السكر كذلك الدكتور فيفر من ألمانيا الغربية ، والطبيب شيزوف السوفياتي وهو متخصص في القلب والأوعية الدموية .

ألم يكن هناك طبيب يهودي من بين الأطباء الأجانب الذين كانوا يزورون الرئيس ؟

- لم أكن أعرف ديانة أي من هؤلاء الأطباء ، ولكني أستبعد اشتراك طبيب يهودي في الكشف على الرئيس ، فالاحتياطيات الأمنية في هذه المسألة كانت تامة وكاملة .

سبتمبر ... في حياة الرئيس

هناك وجهة نظر طبية تقول بأن الرئيس قتل بطريقة معينة ، فقد اختار أعداؤه شهر سبتمبر من كل عام ليسخنوا الأحداث في مصر والأمة العربية على النحو الذي يزيد من انفعالات الرئيس لينتهي به الأمر في النهاية إلى الموت ، ففي سبتمبر حدث الانفصال السوري ، وفي سبتمبر حدثت ثورة اليمن ودخل الجيش المصري بقواته هناك ، وفي سبتمبر انتحر المشير عامر ، وفي سبتمبر قامت إسرائيل بأول عملية إنزال في الغرب ، وفي سبتمبر وقعت أحداث الأردن . هكذا حتى وقع الرئيس ميتا في سبتمبر في ثاني نوبة قلبية له بعد النوبة الأولى التي وقعت أيضا في سبتمبر ...فهل ترى أن وجهة النظر تلك صحيحة من الناحية الطبية ؟

- هذا صحيح من الناحية الطبية ، فالذكرى السنوية لأي حدث من الأحداث تأتي بأثرها السلبية على النفس ، مثل الذكرى السنوية للوفاة أو الطلاق أو أي حدث مقلق في حياة أي شخص ، وقد شاهدت فيلما أمريكيا تدور قصته حول رجل أرادوا قتله فأتوا بقاتل محترف لهذا الغرض ، فطلب كل المعلومات الخاصة

بالرجل الذي يريدون قتله ، فوجد أنه يعاني من جلطة بالقلب ، فقرر أن يقتله بدون رصاص ، فأخذ يطارده ويطلق الرصاص فوق رأسه وهو لا يريد أن يصيبه فيتأثر قلبه من الفزع والرعب حتى وقع صريعا في النهاية . وقد أصيب الرئيس بالجلطة الأولى في القلب بسبب حادث الزعفرانة الذي وقع يوم ١١ سبتمبر ٦٧ .

هل كان الرئيس يطلب منكم ألا تذيعوا أخبار مرضه وأن تتكتموا ذلك عن الناس والصحافة ؟

ـ لم يحدث أن طلب منا الرئيس تكتم أخبار مرضه إلا حينما أصيب بالجلطة في القلب لأول مرة . وأذكر أنني قابلت أحد المسؤولين في بيت الرئيس فسألني عن صحته ، فأجبته إجابات عامة وعدت إلى الرئيس لأسأله إن كنت أصارح الناس بحقيقة مرضه أو تكتمها ، فأجابني الرئيس إجابة ذكية جدا فهو لم يقل لي أن أتكتم الخبر ولكنه قال إن الذين يعرفون الخبر فقط هو فلان وفلان وفلان من المحيطين به ... وكان المعنى واضحا ... إنه لا يريد لغير هؤلاء أن يعرفوا حقيقة مرضه .

ألم يقل لكم الرئيس لماذا يريد تكتم الخبر ؟

ـ لم يقل لي أنا عن السبب ... وربما يكون قد ذكر ذلك أمام الآخرين ، وطبيعي أن تكتم الإنسان أخبار مرضه عن محبيه وكارهيه على السواء ، فالذين يكرهونه سيفرحون ، والذين يحبونه سيحزنون ، وهو لا يريد ذلك لهؤلاء أو لهؤلاء .

وأمراض أخرى

ألم يكن الرئيس يعاني من أمراض أخرى غير السكر ومضاعفاته في ساقه اليمني ؟

ـ كان الرئيس يعاني من دوالي في الرئة اليمني بسبب كثرة التدخين وبسبب نزلة شعبية أصابته وهو في سن صغيرة وكانت دوالي الرئة تتسبب من آن لآخر في إصابة

الرئيس ببعض نزلات البرد .

هل حدث خطأ في تشخيص الأزمة التي تعرض لها الرئيس في مطار القاهرة ؟

ـ لا لم يحدث أي خطأ في التشخيص ، وكل ما قيل أو كتب في هذا الخصوص ليس صحيحا على الإطلاق ، فالرئيس لم يدخل في غيبوبة في أي لحظة من اللحظات ، سواء في المطار أو بعد أن عاد إلى البيت . ولكي تحدث الغيبوبة لمريض السكر لا تحدث إلا نتيجة إهمال كامل وهو لم يكن مهملا في أي لحظة بدليل أنه لم تحدث له غيبوبة بسبب زيادة السكر أو نقصانه .

إذن لم يمت الرئيس بسبب السكر ؟

ـ إطلاقا ... لقد مات بسبب جلطة في الشريان التاجي ، والتاريخ المرضي للرئيس كان يوصل لهذه النهاية حتما فهي نهاية طبيعية تتناسب مع تاريخه المرضي . فقد أصيب الرئيس بكل مضاعفات السكر من تصلب في الشرايين إلى التهاب في الأعصاب إلى آلام في الساق . وقد أصيب بالأزمة القلبية الثانية مصحوبا بما يسمى بالصدمة القلبية وهو ما يعني أن عضلة القلب أصبحت غير قادرة على الضخ لكمية الدم المناسبة للجسم فيحدث الهبوط في الضغط .. حتى العناية المركزة لا تستطيع أن تعالج هذا النوع من الصدمات ، ونحن نرى ونسمع كل يوم عن مرضى بالقلب ماتوا بغرفة العناية المركزة .

من الذي قام بكتابة التقرير الطبي الذي تناول حادث الوفاة ؟

ـ جميع الأطباء الذين حضروا الوفاة ، أنا والدكتور منصور فايز والدكتور زكي الرملي .

قيل أن الدكتور رفاعي كامل رفض التوقيع على تقرير الوفاة وطالب بتشريح الجثمان ؟

ـ هذا ليس صحيحا .. الدكتور رفاعي لم يحضر لحظة الوفاة وحضر بعدها وحين اطلع على التقرير الذي كتبناه وقع عليه لأنه لم يكن هناك أي شيء يدفعه إليى الشك هو أو غيره ...

ولم يطلب أحد من الحضور أن يشرح الجثمان لأنه ليس هناك ما يستدعي الشك .

مات مسموما؟!

ألم تظهر على الجثمان أية أعراض للتسمم ؟

ـ لم يحدث هذا مطلقا ... كانت الوفاة طبيعية لأسباب طبيعية في ظروف طبيعية للوفاة .

هل كنت مصاحبا للرئيس في الهيلتون أثناء مؤتمر القمة العربية ؟

ـ نعم ... كنتِ معه لأنني طبيبه الخاص .

قيل أنه تناول تفاحة أعطاها له أحد أعضاء الوفد اللبناني وكانت تحتوي على السم ؟

ـ لم يحدث أن رأيت ذلك أو سمعت عنه ، والتفاح من الفواكه التي لا يتناولها مريض السكر في أي وقت .

من الذي كان يطبخ للرئيس في الهيلتون .. وأين كان يأكل ؟

ـ كان الرئيس يأكل في جناحه الخاص ، والذي كان يطبخ له طعامه هم طباخوه من البيت والذين صاحبوه إلى الهيلتون لهذا الغرض وبالنسبة للطعام أو الأدوية فلم تكن تأتيه من مكان معين أو مخصص ولكن من أي صيدلية كانوا يحضرون الدواء وليس من صيدلية معينة ...

كذلك من أي مكان كانوا يشترون حاجة الطعام وليس من جهة معينة ...

قيل أنك كنت تعطي للرئيس دواء بطريقة الخطأ وأنك كنت تعطيه أدوية معينة أضرت به ؟

ـ كيف يحصل الرئيس على أدوية بطريقة الخطأ والذين يصفونها له أساتذة وعلماء في تخصصاتهم ، وكنت أنا ـ الذي يشرف على إعطائها للرئيس ـ أيضا حاصلاً على الدكتوراه .

ألم تكن هناك أي شبهة جنائية في وفاة الرئيس ؟

ـ إطلاقا ... لقد مات جمال عبد الناصر بأزمة قلبية مؤكدة وتوجد رسومات لقلبه موجودة لدي أسرة الرئيس حتى هذه اللحظة ويمكن الرجوع إليها للتأكد من أسباب الوفاة والطرق التي اتبعناها للتعامل معها قبل الوفاة وهي طرق لا شك في صحتها إطلاقا .

السادات وتشريح الجثمان

قيل أن الطبيب الشرعي أوصى بتشريح الجثمان ، ولكن التهامي والسادات رفضا ذلك ... فهل حدث ذلك فعلا ؟

ـ لم يحدث هذا مطلقا وليته حدث لأنه لو كان حدث لكنا قد ارتحنا من وجع الدماغ الذي نحن فيه الآن ومنذ فترة طويلة ، ولكن كيف كان سيحدث ولم يكن هناك أي سبب لحدوثه ، لم يكن هناك أي شك لدى أي شخص بوجود شبهة جنائية في أسباب الوفاة ـ كما أن الوفاة ـ كما قلت كانت طبيعية في ظروف طبيعية تؤدي للوفاة في حالة مثل حالة جمال عبد الناصر ...

لقد أصيب بصدمة قلبية مصحوبة بموت ثلث عضلة القلب وهي حالة لا تجدي معه أي محاولة من محاولات الإنقاذ التي تتم عادة في غرفة العناية المركزية ...

لم تكن هناك أي فكرة لتشريح الجثمان ، ولكن لم يكن هناك ـ ساعتئذ ـ أي سبب يدعو لذلك ، وكل الأسباب التي دعت لذلك جاءت فيما بعد ...

قيل أنه كان يجب عمل التدليك لعضلة القلب على الأرض وليس على السرير كما حدث ... فما رأيك في ذلك ؟

ـ هذا رأي من لا يعرف شيئا فالسرير الذي ينام عليه الرئيس والذي جرت عليه عملية التدليك كان ذا «ملة» من الخشب ... فالرئيس كان ينام على سرير مفروش بالخشب منذ أن أصيب بآلام الساق والسرير الخشب يساوي الأرض تماما في عملية التدليك ... لأن السرير لم يكن من النوع الهزاز ولكنه كان من النوع الثابت والتدليك عليه مثل التدليك على الأرض تماما .

هل كان الرئيس يمارس الرياضة أحيانا ؟

ـ أحيانا كان الرئيس يمارس رياضة المشي في حديقة المنزل ، وأحيانا كان يمارس رياضة التنس وقد أهداني مضرب تنس رغم أني لم ألعب التنس في حياتي ولا أعرف لماذا أهداني إياه ... كذلك كان الرئيس يمارس السباحة في الصيف ولكن لم يكن لديه الوقت للمواظبة على ذلك .

(ويك إند) الرئيس

هل كان للرئيس (ويك إند) أو عطلة نهاية الأسبوع؟

ـ لم يكن يعرف الرئيس مثل هذا النوع من الترف وكذلك لم نكن نحن ـ العاملين معه نعرف ما يسميه البعض بعطلة نهاية الأسبوع ، فالأسبوع عند الرئيس لم يكن ينتهي أبدا ولم تكن هناك نهاية للعمل والمتاعب والإرهاق في حياة عبد الناصر .

***

هل كان يستمع إلى الموسيقى ؟

ـ لم أسمعه يستمع إلى الموسيقى ولا أريد أن أقول لك شيئا لست متأكدًا منه تمام . لقد كان الرئيس يمضي معظم وقته إلى جوار التليفون ، يتصل بالمسؤولين أو يرد عليهم ، وأحيانا كنت أخرج منعا للحرج أثناء المكالمات التليفونية التي كان يجريها فكان يطلب مني البقاء ، ويقول لي : (إذا خرجت أثناء المكالمات فمعني ذلك أنك لن تدخل غرفتي أبدا)

ما رأيك فيما قاله مصطفي أمين من أن عبد الناصر قتل طبيبه أنور المفتي بالسم ؟

ـ هذا ليس صحيحا على الإطلاق ولم أسمع به إلا من مصطفي أمين ... وأستبعد أن يحدث ذلك من جمال عبد الناصر خاصة مع صديقه وطبيبه الدكتور المفتي.. فعبد الناصر ـ رحمه الله ـ كان رجلا رقيقا ودمثا ولم يكن هو الذي يطعن من الخلف أو يقتل غيلة ، ثم لم يكن هناك بينه وبين أنور المفتي ما يدعو إلى ذلك ... وكان عبد الناصر قادرا في كل وقت على أن يحتوي أكبر المخالفين له وكان يتعامل مع الجميع بصدر رحب ولم يضمر الحقد لأحد مطلقا .

8

د. منصور فايز

❖ الدكتور (على العطفي) اسم وهمي ... لم اسمع عنه إلا في الصحف

❖ حين قال عبد الناصر : السجاير هي متعتي الوحيدة .. فلا تحرموني منها

❖ أصيب الرئيس بالقلب ونشرت (الأهرام) أنه مريض بالأنفلونزا

رغم مرور أكثر من عشرين عاما على وفاة عبد الناصر إلا أن وفاته لا تزال تمثل لغزا للكثيرين ... فقد أثار عبد الناصر وهو حي كثيراً من علامات الاستفهام ، ولكنه أثار منها بعد أن مات ما لم يقدر الكثيرون على الإجابة عنها ... ولكنهم لا يزالون يحاولون البحث عن إجابات... ولكن ليس لدي من يملكون الحقيقة !

ونقول أن وفاة الرئيس عبد الناصر كانت لغزا مركبا ... فهي لم تكن فقط لغزا سياسيا بل كانت لغزا طبيا في الأساس ولذلك فإن من يملك حل ذلك اللغز هم الأطباء ، خاصة أولئك الذين عرفوا تاريخه المرضي بل كتبوه بأيديهم . وقطعوا معه الشوط حتى نهايته . حتى لفظ أنفاسه الأخيرة بين أيديهم ، وحدهم ، دون غيرهم .

والدكتور منصور فايز لم يكن فقط واحدا من هؤلاء ... بل كان على رأسهم جميعا فهو رئيس الفريق الطبي المعالج للرئيس منذ عام ١٩٦٣ وحتى مات عام ١٩٧٠ ، وهو أستاذ الأمراض الباطنية وعالمها الذي لا يشق له غبار ، وهو فوق ذلك صديق الرئيس الذي لو كان قد شعر بأية شبهة جنائية في الوفاة لكان أول المطالبين بالتحقيق إظهارا لحقيقة تتعلق بأخطر أصدقائه وأعظمهم .

وهو هنا في هذا الحديث يلقي المزيد من الضوء على بعض الأمور التي باتت لغزاً في حياة الرئيس وتاريخه المرضي ... يتحدث عنها كطبيب وصديق ... صدوق .

نحن نعرف أنك كنت الطبيب المعالج للفريق محمد حيدر القائد العام للجيش المصري في عهد الملكية كما كنت الطبيب المعالج للسيد على ماهر رئيس وزراء مصر قبل الثورة وأول رئيس للوزراء بعد الثورة فمتي وكيف وقع عليك الاختيار لتكون الطبيب المعالج للرئيس جمال عبد الناصر ؟

- قبيل منتصف الستينات اتصل بي الدكتور أحمد ثروت الطبيب المرافق للرئيس جمال عبد الناصر وأبلغني أن الرئيس طلب منه أن يعرض على الإشراف على

علاجه كان ذلك بعد ثلاثة شهور من وفاة المرحوم الدكتور أنور المفتي الذي كان يشرف على علاج الرئيس ... لقد كان اختياري لهذه المهمة من جانب عبد الناصر تقديرا كبيراً لي حيث كانت سمعتي أساس هذا الاختيار والفيصل فيه ، فلم يكن الرئيس يعرفني شخصياً ، ولم أكن طبيبا في القوات المسلحة لأعرفه أو يعرفني بحكم موقعي .

دخلت منزل الرئيس جمال عبد الناصر لأول مرة ، كان منزلا بسيطا ، بل متواضعا بالقياس إلى ما نسمعه عن منازل الرؤساء ... وجدت الرئيس واقفا ليرحب بي في بساطة شديدة ، وعلت شفتاه وعيناه ابتسامة مرحبة أزالت على الفور توتر اللقاء الأول .

وبعد حوار قصير سأل فيه الرئيس عني وعن أسرتي دعاني إلى إجراء الكشف عليه ولما انتهيت لم يفته أن يطلب مني أن أتولى الإشراف على علاجه برغم أنه سبق لي أن أبلغت الدكتور ثروت بأن ذلك يسعدني وشعرت من أول لقاء بمدى دماثة الخلق ورقة المشاعر التي تميز بها جمال عبد الناصر ... فلم يكن ليترك مثل هذا الطلب يأتيني من طبيبه المرافق وقصد أن يشعرني بأنه يطلب ذلك بنفسه .

وخرجت من عند جمال عبد الناصر لأكتب تقريري بنتائج الكشف ... ومن ذلك الوقت توليت مهمة الإشراف على علاج الرئيس عبد الناصر حتى وفاته رحمه الله . كنت أزوره بصفة دورية كل أسبوع مرة وإذا دعت الحاجة كانت زيارتي له تتكرر يومياً .

الرئيس الإنسان

لقد عايشت الرئيس فترة من الزمن فهل يمكن أن تصف لنا يوما عاديا من حياة الرئيس ؟

ـ كان من عادة الرئيس أن يصحو مبكرا ويطلب كوبا من الشاي في حجرته ، ويبدأ يومه بالاطلاع على جميع الصحف المصرية والاستماع إلى نشرات الأخبار الصباحية في الإذاعات العربية والعالمية ثم يبدأ عددًا من الاتصالات الهاتفية بالمسؤولين في الدولة . وبعد حوالي الساعتين . أي في التاسعة صباحا كان الرئيس يطلب الطبيب المرافق الذي ينفذ العلاج المقرر له ، وفي هذا الوقت كنت أدخل عليه حين أحضر في زيارتي الدورية .. وخلال السنوات التي عرفت فيها جمال عبد الناصر عن قرب وجدته إنسانا متواضعا حلو الاستقبال ، وكان دائما سريع البديهة قوي الملاحظة . مرح الروح مهما كانت التحديات التي تشغل باله ، كان يتحدث معي قبل الكشف عليه حديثا عاما ، فإما أن يحكي عن بعض مشاغله وكنت أستمع لما يشاء روايته لي ، أو أن أجيبه عن بعض الأمور التي تهمه .

هل كان لمرض السكر تأثيراته على النظام العادي لحياة الرئيس ؟

ـ كان الرئيس جمال عبد الناصر يعاني من مرض السكر منذ عام ١٩٥٨ ولم تظهر عليه أي مضاعفات لهذا المرض منذ ذلك التاريخ وحتى ١٩٦٨ وانحصرت المضاعفات حينذاك في آلام الساق التي بدأ يشعر بها وكان مرض السكر وراثيا في عائلته فقد كان أخوه مريضًا بالسكر وكذلك كان أحد أعمامه ... وكان الرئيس يتبع نظاما خاصا في الأكل لعلاج السكر ، ولم أجد متاعب في هذا المجال ، فقد كان بطبيعته غير ميال للإكثار من الأكل وكان طعام الرئيس وعائلته بشكل عام أكلا مصريا عاديا وصحيا .

ففي الإفطار كان طعام الرئيس يتكون عادة من الخبز والفول المدمس والجبن الأبيض وفي العشاء كان بعض أنواع الفاكهة الطازجة يحل محل الفول ، أما طعام الغذاء فهو يتكون من أحد أنواع الخضار والسلطة الخضراء وبعض اللحم والخبز

وكانت كمية النشويات في الوجبات الثلاثة محدودة .

ألم يكن هناك استثناء في هذا النظام إطلاقا؟

- نعم ... لم يخل الأمر من بعض الاستثناءات فأحيانا كان الرئيس يبلغني بأنه قد أكل كمية أكثر من الخبز ، كذلك كان يخرج على نظام أكله حين تطهو زوجته أحد الأصناف «مثل المحشي» وهي التي عرفت بإجادة الطهي بامتياز .

وكان علاج السكر عند الرئيس جمال عبد الناصر يعتمد على حقن الأنسولين حيث كانت العقاقير التي تعطي عن طريق الفم غير مجدية في علاجه ، فكان عليه أن يأخذ حقنة أنسولين طويلة المفعول يومياً قبل الإفطار .

وبعد فترة من إشرافي على علاج الرئيس ... رأيت إشراك الأستاذ الدكتور على البدري أخصائي مرض السكر المعروف معي في العلاج . وكان الأستاذ الدكتور ناصح أمين يعمل التحاليل اللازمة .

أطباء أجانب للزيارة فقط

هل كان هناك أطباء أجانب يشاركون في علاج الرئيس مع فريق الأطباء المصري ؟

- كان يشترك معنا في علاج الرئيس عبد الناصر الدكتور بولسون من الدانمارك وهو من أكبر أخصائي السكر في العالم ، وكان يزور الرئيس مرة كل ستة أشهر أو إذا دعت الحاجة وكان الدكتور بولسون من أشد المعجبين بشخصية الرئيس جمال عبد الناصر وكان دائم الإشادة به كزعيم عالمي ، وكان يأتي متطوعا رافضا أية أتعاب .

ومن آن لآخر كان يزور الرئيس أيضا الدكتور فيفر من ألمانيا الغربية وهو أخصائي شهير في مرض السكر .

وحدث أن علم سفيرنا في فيينا في ذلك الوقت(عام ١٩٦٨) بأن الرئيس يشكو من آلام في الساق فتطوع وأبلغ الرئيس بوجود طبيب عالمي في فيينا عالج الملك سعود من آلام ساقيه بعد أن كان عاجزا عن المشي . أخبرت الرئيس عن ذلك الطبيب وقال لا مانع من استشارته ، وفعلا حضر إلى القاهرة وقام بفحص الرئيس وأرجع آلام الساق إلى التهاب الأعصاب ، ولما أطلعناه على نظام العلاج لم يضف إليه جديدا ، وتصادف أن كان يزور القاهرة في ذلك الوقت أستاذه من النرويج من أكبر الأخصائيين في التهاب الأعصاب في العالم فاتصلت به وطلبت منه أن يفحص الرئيس .

وبعد فحصه اتفق في الرأي معنا ونفى وجود أية علاقة بين هذه الآلام والتهاب الأعصاب . وقرر أن الآلام سببها ـ كما قررنا نحن ـ ضعف في الدورة الدموية في الساق .. واقتنع الرئيس خاصة وأن الطبيب النمساوي لم يضف جديدا إلى العلاج . ثم عاد لفكرة العلاج الذي خضع له الملك سعود في فيينا ونوعيته تراود الرئيس وطلب مني السفر إلى فيينا لاستيضاح الأمور .

وفي فيينا دعاني السفير المصري هناك على العشاء مع الطبيب الذي ظل يتحدث عن نفسه وعن أبحاثه طوال الوقت موجها حديثه إلى السفير الذي كان فاغرا فاه من الانبهار .

توجهت بعد ذلك لزيارة هذا الطبيب في المستشفي وقمت بفحص بعض المرضي معه ولاحظت أن مستواه الطبي يكاد يكون فوق المتوسط ، ولم أجد جديداً يفيد في علاج الرئيس فعدت إلى القاهرة .

بقي أن نعرف أن السفير المصري في فيينا في ذلك الوقت كان حسن التهامي .

***

حكاية الدكتور على العطفي

ما رأيك في الإشاعات التي ترددها بعض الأجهزة الأجنبية والتي تقول أن إسرائيل نجحت في زرع طبيب علاج طبيعي اسمه على العطفي كان يقوم بتدليك الرئيس بمادة سامة بطيئة المفعول هي التي أدت إلى وفاته ؟

ـ لم يكن اسم الدكتور علي العطفي من بين المترددين لأي شأن من الشؤون على منزل الرئيس عبد الناصر الذي لم يخضع للعلاج الطبيعي إلا لفترة محدودة بدأت بعد عودته من تسخالطوبو في نهاية ١٩٦٨ وانتهت بعد إصابته بالأزمة القلبية الأولى عام ١٩٦٩ حين قمت أنا بوقف هذا العلاج الطبيعي لتعارضه مع علاج المصاب بالقلب وكان طبيب العلاج الطبيعي هو الدكتور فودة ، الضابط بالقوات المسلحة ومسؤول العلاج الطبيعي بمعهد التأهيل بالعجوزة .

حكاية أنور المفتي

وما رأيك فيما ادعاه مصطفي أمين بأن عبد الناصر قتل الدكتور أنور المفتي الذي كان يقوم بعلاجه ، خاصة وأنك توليت علاج الرئيس بعد وفاته مباشرة ؟

ـ قرأت أن المرحوم الدكتور أنور المفتي قد مات مسموما عقب تناول كوب عصير الجوافة في منزل عبد الناصر ، وأن ذلك بتدبير صلاح نصر مدير المخابرات العامة في ذلك الوقت وقد ترددت هذه الشائعات مع بداية حملات ضاربة وظالمة ضد عهد عبد الناصر كله استمرت لسنوات طويلة استهدفت مبادئه وكان أكثر من المهم هذا الافتراء ، الدكتور على المفتي ، شقيق الدكتور أنور المفتي وهو طبيب الأنف والأذن والحنجرة الذي كان يتولى علاج الرئيس عبد الناصر حتى بعد وفاة شقيقه الدكتور أنور ، فهل من المعقول أن يبقيه عبد الناصر طبيبا له إذ كان صحيحا

أنه قتل أخاه بالسم ؟

كيف عرفت طبيعة عبد الناصر المريض ... وكيف كان يتعامل مع المرضى ؟

- كان عبد الناصر مطيعا يؤمن بأهمية الالتزام بإرشادات الطبيب قدر استطاعته، ومن الطريف أنه كان لا يحب أن يرى منظر الدم وكان يدير وجهه عند أخذ عينة دم منه ، وكان يدخن بكثرة سجائر «كرافن» بدون فلتر ثم عدل منها إلى سجائر «كنت » وقد حاولنا مرارا منعه من التدخين ولكن دون جدوى . كان يقول : «إن السجائر هي متعتي الوحيدة ... فكيف يحرموني منها ؟ »

ولكن في عام ١٩٦٨ حين بدأ يشعر بآلام الساق نتيجة قصور الدورة الدموية طلبنا منه ضرورة التوقف عن التدخين كما طلب منه الأطباء الروس ذلك وامتدت يد جمال عبد الناصر بالسيجارة المشتعلة في يده إلى المنضدة بجانبه وإطفائها ، ولم يعد إلى التدخين أبدا بعدها .

وكان عبد الناصر يعمل قرابة الثماني عشر ساعة يوميا ، كان يصحو مبكرا وينام متأخرا ، وكان طوال يومه حبيس مكتبه ما بين الأوراق والتليفون وجهاز الراديو ، كان عمله هو حياته .

كانت المشكلات التي يتعامل معها جسيمة بقدر طموحاته ، وبقدر دوره الرائد في عالمنا العربي وفي العالم الثالث . وحين كنت أنصحه بالبعد عن الانفعالات والحد من الجهد الذي يبذله في العمل كان يقول : «هذه طبيعتي ولا أستطيع لها تغيرا، وهذا قدري ولا مناص من مواجهته »

الأزمة القلبية الأولي

بالطبع كانت الأحداث تؤثر على صحة الرئيس ... كيف كان يحدث ذلك

وما أهم الأحداث التي أثرت عليه ؟

- في عام ١٩٦٧ تعرض الرئيس لأعنف الانفعالات بسبب الهزيمة ، ثم بسبب الأحداث التي انتهت بالمشير عامر إلى الانتحار ، وتطهير المخابرات العامة وأجهزة الأمن ، والتي شهدت كذلك جهدا ضخما بذله في العمل اليومي المتواصل لمدة ١٨ ساعة متصلة ، إذ زادت نسبة السكر عند جمال عبد الناصر ، ولكن كان البول خاليا من «الأسيتون» وقد استدعينا الدكتور بولسون من الدانمارك لاستشارته ، فلم يزد شيئا على العلاج الذي قد قررناه لمواجهة الحالة .. واكتفي بالقول أن الحالة ستتحسن بمرور الوقت .

وقد تعرض الرئيس للأزمة القلبية الأولي في سبتمبر عام ١٩٦٨ في أعقاب غارة إسرائيلية على الزعفرانة بالبحر الأحمر وقتلها لعدد من المدنيين من خفر السواحل ... وقد حزن الرئيس كثيرا لمقتل هؤلاء الأبرياء المدنيين خاصة وأنهم تجاوزوا الخمسين من العمر . وأصيب بالأزمة القلبية الثانية التي أودت بحياته في أعقاب أحداث «أيلول الأسود» بالأردن ... نظرا لكثرة الضحايا من المدنيين .

هل كان الرئيس يطلب منكم عدم إذاعة أخبار مرضه أم أنه لم يكن يهتم بذلك؟

في عام ١٩٦٨ أصيب جمال عبد الناصر بالأزمة القلبية الأولى وأثبت الفحص الإكلينيكي ورسومات القلب المتكررة حدوث جلطة بالشريان التاجي للقلب.

في البداية قلت له : أن هناك تقلصات في الشرايين نتيجة الإرهاق الشديد وأنه يحتاج إلى الراحة . وكان أول سؤال له هو « يعني إيه راحة.. ؟ قد إيه يعني » ؟ فأجبته « مش لمدة طويلة وكل شيء سينتهي بإذن الله » وفهم عبد الناصر أن قلبه قد أصيب .

وحين طلبت منه اشتراك أحد أساتذة القلب بجامعة القاهرة معنا رفض الرئيس

بطريقة قاطعة وقال « مش لازم أي حد يعرف أني مريض بالقلب أنا داخل على فترة مهمة السنة الجاية في المواجهة مع إسرائيل » .. فلما اقترحت عليه اشتراك الأستاذ الدكتور محمود صلاح الدين أخصائي القلب بالإسكندرية وافق على أساس أنه كان كثيراً التردد عليه وكتمانه مضمون لطبيعة مرض الرئيس .. ولكنه عاد فوافق على اشتراك الدكتور زكي الرملي أستاذ أمراض القلب بجامعة القاهرة معنا في العلاج

وعاد عبد الناصر ليؤكد علينا عدم إذاعة حقيقة مرضه وبالفعل نشرت «الأهرام» أن الرئيس قد اعتكف لبضعة أيام لإصابته بالأنفلونزا ويشرف على علاجه الدكتور منصور فايز والدكتور الصاوي حبيب وأضيف اسم الدكتور على المفتي .. وهو طبيب الرئيس للأنف والأذن والحنجرة لتأكيد ذلك بينما لم يشترك معنا بالفعل .

وطلبت من الرئيس أن نستشير احد أخصائي القلب في أمريكا أو بريطانيا ولكنه رفض خشية أن تعرف إسرائيل أنه مريض بالقلب . ولكنه وافق على حضور « شيزوف » أكبر أخصائي لأمراض القلب بالاتحاد السوفيتي وكان عضوا باللجنة المركزية للحزب الشيوعي.

استجاب الرئيس لطلبنا بالتزام الراحة . وكان يروح عن نفسه خلال تلك الفترة بمشاهدة برامج التليفزيون .. وقد لاحظنا تحسنا كبيراً في برامج التليفزيون أثناء تلك الفترة ولكن سرعان ما رجع الحال إلى ما كان عليه حين عاد الرئيس لممارسة نشاطه من جديد!!

آخر كلمات الرئيس

كنت إلى جواره لحظة أن مات .. فكيف كان يبدو وما آخر الكلمات التي نطق

بها..؟

أذكر أنه قال لي وأنا منهمك في علاجه « أنا مش ها ارقد المرة دي .. أنا عندي مواعيد وشغل كثير الفترة اللي جاية» .. قالها وجهاز رسم القلب لم يزل متصلاً بذراعيه وساقيه .

وفي تمام الساعة الخامسة مد يده إلى جهاز الراديو بجانب سريره واستمع إلى موجز الأنباء من إذاعة القاهرة وقال « ما فيش حاجة» ثم قفل الراديو استطرد « نيكسون عامل لي مظاهرة في نابولي وكنت عايز أعرف إيه الأخبار».

وكان نيكسون قد حضر بنفسه على نابولي لحضور مناورة تقوم بها أقوى قطع الأسطول السادس من باب التهديد لجمال عبد الناصر

تحسنت ضربات القلب .. وقال عبد الناصر (الحمد لله أنا دلوقت استريحت) وكانت تلك هي آخر كلماته فقد توقف القلب فجأة .

9

بيت عبد الناصر

في بيت عبد الناصر .. قبل أن يتحول إلى متحف:

❖ كان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، يقضي بين خمس وسبع ساعات من كل ٢٤ في القراءة .

❖ عاش الزعيم الراحل حياة الزهد الحقيقية ، ومات وهو لا يمتلك البيت الذي كان يعيش فيه.

❖ لم يكن يفصل سوى بدلة واحدة في السنة.

❖ ظل يستخدم ساعة يد واحدة طوال حياته .

حينما كان يموت أحد ملوك الفراعنة كان الناس يدفنون معه كل مقتنيات قصره والأشياء التي اعتاد استعمالها في حياته حتى إذا بعث أمكنه مواصلة الحياة من جديد .

ولكن بعد وفاة عبد الناصر فإن المسألة تبدو ولا شك مختلفة ، فهو لم يكن فرعونا ولذلك فقد بقى كل شيء في مكانه من البيت الذي عاشت فيه أرملته حتى وافتها المنية هي الأخرى فجاء السؤال : ما هو مصير البيت بعد رحيل أرملة الزعيم الراحل؟

هذا هو السؤال الذي طرحه الكثيرون من المهتمين بالأمر وقد أجاب البعض على ذلك بطلب تحويل البيت إلى متحف يضم كل متعلقات الزعيم الخالد فلا تضيع أو تندثر معالم مكان شهد أروع فترات التاريخ المصري المعاصر.

وقد عاش الزعيم الراحل عبد الناصر وأسرته في البيت نفسه الذي كان يقيم فيه ناظر المدرسة الثانوية العسكرية قبل الثورة ، وهي في منشية البكري في منطقة ثكنات الجيش وثكنات الحرس الجمهوري وفي هذا البيت عاش الزعيم عيشة أية أسرة مكونة من سبعة أفراد، ثلاثة أبناء ، خالد وعبد الحميد وعبد الحكيم، وابنتان : هدى ومنى .. بدون أي مظهر من مظاهر البذخ والترف.

ولقد كان من حق عبد الناصر باعتباره رئيساً للدولة أن يقيم في أحد القصور التي تملكها الحكومة المصرية .. وهي كثيرة وأن يؤثث بيته بأي أثاث فاخر يطلبه من الأثاث الذي تمتلكه الحكومة في تلك القصور لكنه رفض هذا الحق واشترى من مرتبه بعض أثاث بيته.

وقد جرب عبد الناصر أن يقيم في أحد القصور الملكية لفترة وجيزة حين كانوا يجرون له بعض الإصلاحات والترميمات في منزله القديم فانتقل إلى قصر الطاهرة ليقيم فيه ريثما ينتهي العمل في بيته القديم ، وهناك شعر بوحشة غريبة عبر عنها

قائلا : أن حياة القصور لا تناسبني ففي القصر كان كل فرد من الأسرة يعيش في جناحه الخاص ، مما يعطي الانطباع بالتفكك الأسري ، أما في البيت فإننا نعيش جميعاً معا ، وهذا إحساس لا يعرفه إلا كل أب يحب أسرته.

وبعد أن أنهى عبد الناصر إقامته في قصر الطاهرة – بناء على طلبه بإصرار – أن يدفع للحكومة ثمن بعض التحف أو الأثاث الذي كسره أبناؤه أثناء لعبهم.

الطابق الثاني بسبب عبد الحكيم

والبيت الذي عاش فيه عبد الناصر مكون من دورين ، الدور الأول به حجرة مكتبه وحجرة استقبال خاصة بزائرات السيدة قرينته ، ويضم الدور الثاني حجرات النوم وحجرة الطعام، وفي هذا البيت أقام الرئيس الراحل حتى آخر أيام عمره ، وقام بواجبه كرئيس وقائد وزعيم، وقابل أغلب من عرفهم من الشخصيات العالمية والعربية من زملائه وأصدقائه.

وفي البداية كان البيت يتكون من طابق واحد فقط ولكن حينما أنجبت السيدة قرينته عبد الحكيم أصغر أبنائه ، وكان ذلك في عام ١٩٥٥ قرر العاملون في الرئاسة بناء طابق علوي يخصص لأبناء الرئيس بعد أن لاحظوا أنه أصبح مرهقاً قليل النوم بسبب بكاء عبد الحكيم طوال الليل بنفس الغرفة التي ينام فيها الرئيس.

وحينما يجتاز الزائر بوابة البيت فإنه يدخل إلى فناء صغير وإلى يمينه مبنى أرشيف ومكتبة مراجع الزعيم ، وفي المواجهة يجد الزائر المبنى الرئيسي وقد غطيت واجهته بأكثر من مائة أصيص صغير زرعت بالأزهار .. وهي مرتبة في ثلاثة صفوف.

وراء المبنى الرئيسي حديقة صغيرة بالعشب الأخضر . وتحيط بها أشجار عالية ، وفي أبعد ركن من هذه الحديقة وتحت أكبر شجرة بها كانت توجد عدة مقاعد

ومنضدة وحامل تليفون ، وفي هذا الركن كان الرئيس يحب أن يجلس مع أفراد أسرته يتحدث أو يلعب مباراة شطرنج مع ابنه الكبير خالد، أو كان يجلس وحده يقرأ ويدرس ويقرر ، خاصة في بعض ليالي الصيف الحارة، فإذا دخلنا الدور الأول من المبنى الرئيسي فإننا نجد حجرة استقبال صغيرة المساحة وفي الجانب الأبعد منها مدفأة حائط من الرخام الأحمر والأسود.

وعلى رف المدفأة ثماني صور موقع عليها من أصحابها وموضوعة في إطارات فضية هي صور أصدقاء الرئيس الراحل ومن بينهم شكري القوتلي الرئيس السوري الأسبق ونهرو زعيم الهند الراحل وشو ابن لاي ،رئيس وزراء الصين الراحل والرئيس الأندونيسي الراحل أحمد سوكارنو والرئيس الهندي الراحل راجندرا وشاد والرئيس اليوغسلافي الراحل تيتو والسيدة باندرانيكا رئيسة وزراء سيلان السابقة.

وعلى منضدة صغيرة ذات قرص من الرخام وإلى يمين المدفأة صورة فوتوغرافية كبيرة لكوامي نكروما رئيس غانا الأسبق.

وفوق المدفأة وعلى الحائط علقت لوحة زيتية تمثل طفلين من الفلاحين هدية من الحكومة الأسبانية طولها ١٥٠ سم وعرضها ١٢٠ سم وقد اعتاد الرئيس عبد الناصر أن يقف مع ضيوفه أمام هذه المدفأة لكي يلتقط له المصورون والصحفيون الصور مع زواره .. فقد كانت هذه اللوحة هي أشهر لوحة في العالم لأنها صورت أكثر مما صورت أية لوحة أخرى .

وعلى حائط آخر من حجرة الاستقبال لوحة أخرى لعدد من الكتاكيت أو «أفراخ الدجاج» ..وأمام المدفأة مقعدان كبيران يواجهان بعضهما بعضا وبينهما منضدة صغيرة وفي الناحية الأخرى من الحجرة كنبة وستة كراسي وثلاث مناضد

صغيرة . ومن سقف حجرة الاستقبال تتدلى نجفة كريستال وعلى الأرض سجادتان كبيرتان صنعتا بمصر ، بمصنع الشركة العربية للسجاد بدمنهور .. وأمام المدفأة سجاد صلاة.

وفي هذا الصالون الذي يشبه آلاف الصالونات في بيوت الأسر المصرية المتوسطة ، كان الزعيم الراحل يستقبل زواره من الرؤساء والزعماء والسفراء والصحفيين أفراد وجماعات الذين طالما جاؤوا إليه حاملين همومهم وأسئلتهم ، ولكن أحدا منهم لم يغادر المنزل كما دخل إليه، فقد كان الزعيم قادراً في كل وقت على الرد والاستجابة ، إلا ما مس منها كرامة الوطن وحريته واستقلاله كما كان دائماً قادراً على كسب احترام ألد الخصوم والأعداء بصراحته ووضوحه.

ولحجرة الاستقبال نافذتان تطلان على شرفة.

وعادة كانت القهوة تقدم إلى الزائر بعد قدومه بقليل ، وإذا طالت المقابلة كانت تقدم للزائر أكواب العصير أو الشربات.

أهلا بك في المكتب

أما حجرة المكتب فقد ظلت دائماً منطقة محظورة على أي أحد غير مساعدي الرئيس من موظفي الرئاسة.

والحائط الأبعد من حجرة المكتب مبنى بالطوب ، وأمامه مكتب الرئيس الذي يبلغ طوله ٢١٠ سم وفوقه ملفات وخطابات وتقارير ومجلات وصحف.

وفي أحد أركان المكتب كومة من النوتات التي كان الزعيم يسجل بها طوال سنوات حكمه ملاحظاته على الأشخاص الذين كان يقابلهم ..والأحداث التي تقع والقضايا التي تعرض عليه.

وإلى يمين المكتب لوحة توزيع تليفزيونية بيضاء مركب بها أحد عشر خطا تليفونيا كان الزعيم يتصل بواسطتها بكل من يريد الاتصال به من المسؤولين في مكاتبهم أو بيوتهم وهناك آلة كاتبة وخزانة حديدية متوسطة الحجم وجهاز راديو هو أقوى جهاز راديو في مصر.

وعلى المكتب ساعة سويسرية توضح الوقت في جميع أنحاء العالم . وبالقرب من المكتب كنبة كبيرة كان يجلس الزعيم عليها حينما كان يتحدث إلى مساعديه . وفي متناول يد الزعيم ثلاثة أزرار كهربائية ، كل زر منها له صوت خاص بأحد العاملين بالرئاسة وفي هذا المكتب عمل الزعيم الراحل، واتخذ معظم قراراته ، وناقش ودرس وبحث وفكر في شؤون الوطن.

(شخبطة) لها معنى

وكان الرئيس يتوجه إلى مكتبه بعد الإفطار مباشرة ، حيث كان يقضي أربع ساعات كاملة في قراءة تقارير الوزراء وبرقيات السفراء والرسائل الخاصة التي يعرضها عليه سكرتيره الخاص ويتصل تليفونياً موجهاً ومقررًا ومناقشاً وسائلا .

وفي أثناء أحاديثه التليفونية اعتاد الرئيس أن يخطط بقلمه بعض الرسومات العشوائية على النوتة التي توضع أمامه ، ومتابعة أشكال هذه الرسومات على مر السنين توضح أن بعضها كان يتكرر مرارا .

وخلال هذه الساعات الأربع من صباح كل يوم ، كانت الحركة تموج بين مكتب الرئيس ومبنى السكرتارية المكون من دورين ، ويقع عبر الطريق إلى بيته.

ولم يكن العمل في مبنى السكرتارية يتوقف إلا نحو أربع ساعات ، قبيل طلوع فجر اليوم التالي، وأحياناً كان العمل في هذا المبنى يستمر متواصلا ليل نهار بدون

انقطاع وفي فريق سكرتارية الزعيم الراحل كان يعمل عدد من الرجال والنساء ، يعرفون كل لغات العالم تقريباً ومهمتهم هي صياغة الردود على جميع الرسائل التي يتلقاها الزعيم والتي كانت لا تقل عن ثلاثة آلاف رسالة في اليوم الواحد ، وتلبية رغبات أصحاب الرسائل ، كذلك صياغة قرارات الرئيس وتوجيهاته ، وكانت السكرتارية تعرض عليها بدون تعليماته المباشرة ، أو بعض الرسائل التي لها طرافة خاصة ، ولم يكن الزعيم يملي ما يريده ، ولكنه يكتفي بشرح الخطوط العامة لما يريده شفوياً ، ثم يكون على أحد أعضاء مكتبة أن يضع الصيغة التفصيلية بالمضمون والأسلوب واللغة المطلوبة .

وأحياناً كان الزعيم يدخل بعض التعديلات بخط يده وبأسلوب أدبي رفيع المستوى.

وأحياناً كان يوجد لدي أحد مساعديه ما يقوله له أثناء وجود أحد معه فإنه كان يجب عليه أن يكتبه على ورقة ويقدمها للزعيم أو يهمس بها في أذنه.

وكان الرئيس يبقى في مكتبه حتى يحين موعد الغداء .. وكان الغداء ولمدة نحو ساعة ونصف ، وهو الوقت الذي يعيش فيه الرئيس خلال اليوم مع أسرته ، ولم يكن من المسموح الاتصال به تليفونياً خلال هذه الفترة وكان الهدوء يسود البيت كله.

السينما في البيت

وربما كانت أمسيات الخميس من كل أسبوع ، وفي الظروف العادية هي المناسبة المعتادة لالتقاء رب الأسرة والكبير بأفراد أسرته ، وفي مثل هذه الأمسيات كانت الأسرة تشاهد أحد الأفلام السينمائية وكان الأولاد هم الذين يختارون الفيلم حتى ولو لم يكن الاختيار مما يوافق ذوق الزعيم الراحل وأحياناً كان الرئيس يشاهد بعد

الفيلم العربي الذي اختاره الأولاد فيلما من اختياره هو.

وبعد الغذاء كان الرئيس يقرأ صحف الوطن العربي، وكان ذلك يستغرق نحو الساعتين. ثم كان يأوي إلى فراشه لمدة ساعة حتى الخامسة. ثم يستيقظ ليستأنف العمل من جديد. ولمدة ثماني أو تسع ساعات، كان الرئيس خلالها يواصل اجتماعاته مع الوزراء والدبلوماسيين والصحفيين وكبار المسؤولين .. ولم يكن يتناول عشاءه إلا بعد منتصف الليل، وكثيراً ما كان يتناوله أثناء العمل بمكتبه .. وكان عشاؤه خفيفاً يتكون من الخبز والزبادي والجبن الأبيض.

وخلال الليل كان الزعيم الراحل يتناول ما بين ١٠، ٢٠ فنجاناً من القهوة، وعددا من أكواب عصير الفواكه، وفي الساعة التاسعة من مساء كل يوم، كان يصل إلى الرئيس رسول خاص يحمل النسخة الأولى من تقرير يتضمن أقوال صحف وإذاعات العالم خلال الأربع والعشرين ساعة وخاصة أقوال الصحف والإذاعات المعادية.

أما إذا جاء خبر هام، قبل أو بعد ذلك، فإنه كان يرفع إليه فوراً مهما كانت مشاغله وأيما كان الوقت وكان يصل إلى الرئيس تقرير عن تحليل اتجاهات الرأي العام في مصر والبلاد العربية ودول العالم وكانت تصل إليه ملخصات كل الكتب الهامة التي تصدر في العالم، وكان يعرف النكت والإشاعات المتداولة. ويعرف كيف يفرق بين ما هو صادر منها عن الجهات الأجنبية المعادية وبين ما هو صادر منها عن طبيعة الشعب المصري الأصيلة.

وبعد آخر زائر آخر مكالمة تليفونية كان الرئيس يغادر عادة بعد منتصف الليل بساعات، ويتوجه إلى حجرة نومه ومعه مجموعة كبيرة من الصحف والكتب والمجلات العربية والأجنبية

القراءة دائماً

وفي حجرة النوم كان الزعيم يخلع ملابسه ويرتدي البيجامة ثم يستلقي على سريره ويدير الراديو بجوار الفراش ثم يقضي ساعة أو ساعتين في القراءة والاستماع.

ومع أن معظم ما كان يقرأ في الصحف والكتب، وأما يسمعه في الإذاعة، لا يختلف كثيراً عما هو وارد في التقارير والملخصات الإعلامية إلا أنه كان يحب أن يقرأ ويسمع بنفسه وكثيراً ما كان يقرأ ما يسمى بالأخبار الخفيفة غير السياسية لأنه كان يحس من خلالها بالارتباط بالحياة اليومية في مصر والوطن العربي بصورة جيدة ويهتم بالرسوم الكاريكاتيرية.

وبصورة عامة كان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، يقضي بين خمس وسبع ساعات من كل ٢٤ ساعة في القراءة .. فالقراءة كانت هوايته الرئيسية.

وبجانب القراءة .. كانت هواية الرئيس الثانية هي مشاهدة الأفلام السينمائية.

وقبل مسئولية الحكم كان من عادة الرئيس أن يذهب مع السيدة قرينته إلى السينما مرتين في الأسبوع. ولكن مهام الدولة المتزايدة جعلته يشتري آلة عرض سينمائية وشاشة لمشاهدة الأفلام في بيته وكان يحب بصفة خاصة الأفلام التاريخية، وأفلام المغامرات، والأفلام الموسيقية، ولم يكن يميل إلى الأفلام ذات الموضوعات الدرامية أو الثقيلة .. وكان الشطرنج هوايته الثالثة.

وقد علم أولاده لعبة الشطرنج .. وكثيراً ما كان يدخل في مباريات شطرنج معهم وخاصة مع ابنه الأكبر خالد، أو مع صديق من أصدقائه الأعزاء.

***

مارك توين .. وأم كلثوم

وبعد القراءة والشطرنج كان الزعيم يحب الموسيقى والغناء خاصة الموسيقى الكلاسيكية ، ومن أحب الموسيقيين العالميين إلى نفسه رحمانوف وشوبان، وكان أحب الغناء إليه غناء أم كلثوم، وأحب الكتاب إليه فكان الكاتب الأمريكي مارك توين.

وقد عاش الزعيم الراحل حياة الزهد الحقيقية ، ومات وهو لا يمتلك البيت الذي كان يعيش فيه .

إن طعامه كان قليلا ، وملابسه كانت بسيطة ، وحياته الخاصة كانت عادية .

إنه لم يكن يفصل سوى بدلة واحدة في السنة ... بل أحيانا كانت تمر سنة دون أن يفصل بدلة جديدة كما حدث في عام ١٩٥٩ ، وقد ظل يتعامل مع الترزي نفسه الذي كان يتعامل معه قبل وصوله إلى السلطة ، وكذلك مع الحلاق نفسه .

وحتى وهو ضابط في الجيش كان يفضل ارتداء الملابس المدنية على الملابس العسكرية وكان يفضل اللونين الكحلي والرمادي ، وربطات العنق العادي الألوان . ولم يضع في أصابعه إلا دبلة الخطوبة . وظل يستخدم ساعة يد واحدة طوال حياته .

10

حسن دياب

عبد الناصر ...الأصل ... والصورة ...

❖ كان يهرب من الكاميرا .. ولا يقف أمامها إلا للضرورة .

❖ كان يرفض التمثيل أمام الكاميرات .

❖ لم يكن الرئيس يفضل سوى الملابس المصرية والقماش المصري . وظل يرتدي اللون الرمادي حتى مات .

كان الزعيم الألماني «هتلر» مغرما بقراءة الصورة خاصة صور القادة الذين سيقابلهم في معاركه القادمة ... فلم يكن يرسم خطته العسكرية قبل أن يقرأ صورة القائد الذي سيقابله فيها ، ليقرر ماذا سيفعل في مواجهته على ضوء ما تقوله له صوره الموضوعة أمامه على المكتب ! .

إلى هذا الحد من الخطورة كان دور الصورة في رسم الخطط وتقرير مصير ومسار التاريخ فالناس ـ عادة ـ يحاولون أمام الكاميرا أن يبدوا على غير طبيعتهم فقد يتكلفون بالابتسامة أو يصنعون الهيبة أو يتظاهرون بما ليس فيهم من ملامح تنقصهم .

وفي ذكرى ميلاد جمال عبد الناصر التقيت مع الذين يقفون خلف الكاميرا لنعرف منهم «الصورة الحقيقية» لمن أوقف أمامها ... وأمامهم ، ليست صورة فوتوغرافية ولكنها صور إنسانية رصدوها بأعينهم وحفروها في ذاكرتهم .

كان حسن دياب يعمل في « أخر ساعة» حين كانت الثورة في بدايتها الأولي وذات يوم وبينما كان مجلس الوزراء يقوم بعمله اليومي ... فوجئ بوجود مصطفي أمين يدخل إلى مبنى رئاسة الوزراء ... ومضت بعض الدقائق حتى خرج مصطفي أمين واستدعي حسن دياب مصور آخر ساعة ليلتقط بعض الصور لشخص جالس كان يرتدي بدلته العسكرية ولاحظ حسن دياب أن هذا الشخص كان بسيطا ولم يكن متكلفا أمام الكاميرا ورغم ذلك فقد أحس بأهميته ... وقد صدق حدس حسن دياب حين تقدم محمد نجيب رئيس الوزراء في ذلك الوقت ... وطلب صورة بجوار هذا الشخص الذي قال «ما عنديش مانع» إذن لابد وأنه أهم من شخص رئيس الوزراء ثم ها هو مصطفي أمين يطلب هو الآخر صورة معه .. وحين خرج حسن دياب سأل مصطفي أمين من يكون هذا الشخص ؟ فردد مصطفي أمين اسمه «جمال عبد الناصر» .

لم يذكر مصطفى أمين شيئا عن ذلك الشخص أكثر من مجرد اسمه «جمال عبد الناصر» ورغم ذلك فقد شعر حسن دياب بأن جمال عبد الناصر هذا هو أهم شخص في رجال الثورة ... فأخذ يلاحقه بالكاميرا ولم يشأ المصور الشاب أن يذكر شيئا عن اكتشافه لبقية الزملاء من المصورين ليكون له السبق في الانفراد وحده دون غيره .

وهكذا كما يقول حسن دياب .. وجدت نفسي أهم مصور في الرئاسة قبل أن يختارني جمال عبد الناصر لأكون كبير المصورين .

ذات يوم تقدمت لتصوير جمال عبد الناصر في إحدى المناسبات ـ فوجدته ـ يسألني لماذا لم تحضر أمس وأول أمس ؟ فقلت له لم يكن نوبتي في العمل فسألني وهل تتناوبون العمل في الرئاسة؟ قلت نعم ... قال أنا أريدك معي على طول . فنقلت رغبة الرئيس إلى محمد حسنين هيكل الذي كان رئيس تحرير آخر ساعة حيث كان عملي الرسمي في ذلك الوقت فرحب هيكل وبذلك أصبحت ملازما للرئيس حتى يوم وفاته .

لم ألاحظ مطلقا ـ والكلام لحسن دياب ـ أن جمال عبد الناصر كان يحب الوقوف أمام الكاميرا ... بل كان يستجيب لطلبات المصورين بأوضاع معينة في التصوير تماما ... مثلما يستجيب الممثل لطلبات المخرج حتى أنه كان يعيد السلام باليد على ضيوفه الذين كان يستقبلهم لتلتقط له الصور من أحد المصورين الذين فاتتهم فرصة التقاط الصورة في حينها .

حينما تغير الحال ... وجاء جمال عبد الناصر إلى الحكم فوجئنا بشخص مختلف تماما كان تلقائيا وطبيعيا ولا يحب الافتعال أو التكلف ... وذات يوم طلب منه أحد الزملاء أن يعيد السلام على أحد ضيوفه ليتمكن من التقاط صورة فاته التقاطها في

حينها فقال الرئيس : أنت عايزني أمثل ؟ !

ذات يوم - كما يروي حسن دياب - كان من المقرر أن يقوم بزيارة إلي الجبهة فجاءوا له بزي عسكري فرفض ارتداءه لأنه كان يرفض التكلف فقالوا له إنه زى عادي بدون نياشين أو أوسمة أو حتى رتب عسكرية وأن ارتداءه ضروري حتى لا يتمكن العدو من تمييزه بين الجنود ... ولكنه رفض كل تلك الحجج وقال «اتركوني بطبيعتي أفضل » .

كان جمال عبد الناصر يرفض التمثيل أمام الكاميرات وحين شرح له المصورون بأن ذلك ضروري في بعض الأحيان حتى لا ينقطع عيشهم بسبب صور فاتتهم فرصة التقاطها مما يعطي انطباعا لدي رؤساء التحرير بالصحف التي يعملون بها أنهم مهملون أو متقاعسون وافق جمال عبد الناصر على تكرار اللقطة ولكن في مرات قليلة جداً . يقول الأستاذ طاهر حفني «الجمهورية» ذات مرة وصلت إلى مبني الرئاسة متأخرا وكان الرئيس قد ودع لتوه السفير الإنجليزي بالقاهرة ...وحين لمحني أجري بكل طاقتي نزل الرئيس درجات السلم وأوقف السفير الإنجليزي بعد أن هم بالانصراف وأعاد السلام عليه لأتمكن من التقاط الصورة . وقال لي«المرة دي سماح » .

معاملة إنسانية للمصورين

ويقول زكي عبد التواب «دار الهلال» لم يكن عبد الناصر يحب الوقوف أمام الكاميرا ورغم ذلك فقد كان يعامل المصورين برفق شديد بل كان يعنف من يحول بينهم وبين أداثهم لعملهم على النحو الصحيح .

ويقول أنور سعيد «الجمهورية» ذات يوم شكا المصورون من أن رجال الحرس يحولون بينهم وبين التصوير ... وأنهم بإحاطتهم للرئيس عن قرب يفسدون

الأوضاع الملائمة للتصوير فما كان من الرئيس إلا أن أعطى تعليماته المشددة إلى رجال الحرس «دعوا المصورين يؤدون عملهم كما يريدون » .

ويروي رشاد القوصي :ذات يوم اقترب مني أحد الحراس وفي هوجة الزحام ضربني بكوعه دون قصد منه فوجدت الرئيس يعنفه وطلب منه الابتعاد عن طريقي .

ويقول عبده خليل «الجمهورية» لم يكن الرئيس يحب أن يهان أحد في موكبه ، وكان يعامل الجميع بطريقة إنسانية ... ويروي المصور عبده خليل : كنا في زيارة لجبل الدروز بسوريا أيام الوحدة ... وكان البرد شديداً وقارسا . فجأة توقف موكب السيارة ووجدنا الرئيس يأمر بأن ينزل المصورون من السيارة المكشوفة التي يستقلونها وأن يركبوا سيارة مغطاة بدلا من رجال الحرس .

ويقول الأستاذ أميل كرم : في إحدى الزيارات التي كان يقوم الرئيس بها لموقع الإنتاج ، كنت أقف على كرسي لأتمكن من التقاط الصور من وضع أفضل .. وفجأة وجدت أحد الزملاء يجذبني ليقف مكاني فوقعت على الأرض ..وحينما قمت لأنتقم منه نظر إلى الرئيس نظرة ذات معنى .. فخجلت من نفسي .. وعلمت بعدها أنه استدعى زميلي الذي أوقعني وعنفه كثيراً .

ويروي المصور زكي عبد التواب حادثة شبيهة فيقول : حينما كنا في الأراضي المقدسة ... كنا جميعا بملابس الإحرام ، وبينما كنت واقفا على كرسي لألتقط الصور .. وجدت شخصا من «الياوران» يجذبني من ملابس الإحرام لينزلني من على الكرسي ... وبعدها جاء من يستدعيني لمقابلة الرئيس ، وحين دخلت عنده وجدت «الياور» الذي أوقعني يقف مطأطئا رأسه ... وقال لي الرئيس : لا تزعل فقد أخذت لك حقك .

ويقول المصور أنور سعيد أن الرئيس لم يكن يحب الوقوف أمام الكاميرا .. وكذلك كان والده رحمه الله .. فقد كنت أعمل بمكتب جريدة الجمهورية بالإسكندرية ، حيث تعيش أسرة جمال عبد الناصر وكنت كلما حاولت التقاط صورة للحاج عبد الناصر ، والد الرئيس ـ كان يرفض ذلك . فقد كان يرفض أن يتميز عن أي مواطن من مواطني الإسكندرية .. وكان عز العرب ـ شقيق الرئيس ـ يعمل رئيسا لمكتب الجمهورية بالإسكندرية ـ ولم يكن يتميز عن أي أحد منا ... نحن زملاؤه بالمكتب ... بل كان كبيرنا في العمل وفي الأخلاق والتواضع ونظافة اليد واللسان .

صور ممنوعة

لم يكن الرئيس يتدخل في عمل المصورين ... ولم يكن يطلب منهم التقاط صورة معينة ، أو حتى يرفض لهم التقاط صورة خاصة . إلا نادرا جدا .

يقول الأستاذ حسن دياب كبير مصوري الرئاسة في مؤتمر جدة الذي عقده عام ١٩٥٥ التقطت صورة لإمام اليمن السابق يسلم فيها على الرئيس وهو ينحني بقامته ..تركني الرئيس ألتقط الصورة ثم طلب مني بعدها ... ألا أنشرها لأنها ربما جرحت كبرياء الإمام .

ويقول المصور عبده خليل : في أول زيارة له ليوغسلافيا قام الرئيس تيتو بتقليد الرئيس عددًا من الأوسمة والنياشين ... وقمنا بالتقاط الصورة له وهو يضعها على صدره .. تركنا الرئيس نقوم بعملنا ... ثم طلب منا أن نحتفظ بهذه الصورة لأنفسنا وألا ننشرها بمصر لأنه لم يكن يحب البهرج أو الزواق ... !

ويقول طاهر حنفي أن الرئيس لم يكن يمنعنا من التقاط أية صور مهما كانت ، ولكنه كان يمنعنا فقط من نشرها . وفي مرات نادرة جدا ... على سبيل المثال : كان

الرئيس لا يحب نشر صور الولائم أو موائد الطعام لأنه يعتبر الأكل عورة من العورات التي يجب سترها ... وكان محقا في ذلك عملا بقول الرسول الكريم .

ويضيف المصور طاهر حفني بأنه ذات يوم وبينما كان الرئيس يقوم بافتتاح المعرض الصناعي ... وقف في جناح إحدى شركات النسيج وسأل المسؤول عن نوع معين من «الفانلات» الداخلية لم يفهم المسؤول قصد الرئيس .. ففوجئنا بالرئيس يخلع قميصه ويجذب الفانلة الداخلية ويقول للمسؤول «أنا أسأل عن فانلة مثل هذه ... أنا ألبس منها لأن ثمنها رخيص ونوعها جيد » التقطت هذه الصورة الطريفة للرئيس ولم يطلب مني عدم التصوير رغم غرابة الموقف ! .

ويروي زكي عبد التواب أنه التقط صورة للرئيس وهو ينحني ليرفع جوربه الذي تهدل ونشرت الصورة ولم يعلق عليها الرئيس .

ويقول الأستاذ رشاد القوصي : لم يكن الرئيس يمنع مصورا من التقاط صورة يراها مناسبة ، ولكن رجال الرئيس هم الذين كانوا يفعلون ذلك متطوعين ودون تعليمات ، مثلا في بداية الثورة ، كنت أقوم بالتقاط صورة للرئيس وهو يلبس حذاءه بنفسه عند خروجه من المسجد ، فمنعني أحد رجال مكتبه ، رغم أن الصورة كانت تعبر عن بساطة الرئيس بالمقارنة بما كان عليه الملك فاروق الذي كان يوجد بقصره شخص مهم جدا يقوم بوظيفة «اللبيس» أي أنه لم يكن يفعل شيئا أكثر من تلبيس الملك الحذاء .

يقول حسن دياب كبير مصوري الرئاسة ... أن جمال عبد الناصر لم يكن يعاني من «عقدة الغلاف» وكان طبيعيا وتلقائيا ... ولم يكن يتعمد الإصلاح من هندامه أمام الكاميرا ، ولم يكن يتكلف أوضاعا معينة ، أو هيئة خاصة . كان كذلك منذ أن كان شابا وحتى مات . لم يكن يرتدي زيا خاصا للتصوير - بل لم يكن يرتدي غير

زيه العادي الذي لا يختلف عن زى أي موظف بالحكومة .

ويقول أنو سعيد : حين كنا نرافق الرئيس في زيارته لدول الخارج كنا نتهافت على شراء الملابس والهدايا ولم يكن الرئيس يفضل سوى اللباس المصري والقماش المصري . وظل يرتدي اللون الرمادي حتى مات .

صور إنسانية

يروي المصور رشاد القوصي ... في إحدى زيارات الرئيس للإسكندرية لاحظ غياب زميلنا حسن دياب فسأل عنه ... وحين علم أنه مريض أرسل إليه طبيبه الخاص ليقدم له ـ شخصيا ـ تقريرا عن حالته الصحية .

ويقول أميل كرم ... ذات يوم كنا في إحدى قرى الصعيد ، وبسبب الزحام الشديد حول الرئيس انقطع الكابل الكهربائي الخاص «بالفلاش» في آلة التصوير التي أحملها . وأمسكت بي الكهرباء وارتميت على الأرض مغشيا على ، أمر الرئيس بأن أنتقل في سيارته إلى المستشفي بمرافقة طبيبه الخاص ... وأرسل لي باقة ورد بالمستشفى وأمر الأطباء بألا يسمحوا لي بالخروج قبل أن يتم شفائي تماما .

ويروي زكي عبد التواب ... بينما كنت أقوم بتصوير الزحف الجماهيري الشديد على قصر الرئاسة في دمشق .. أخذت أتراجع أمام زحف الكتل البشرية حتى علق فخذي بسيخ مدبب بالسور الحديدي للقصر .. ووجدت أمامي أحد رجال حرس الرئيس يقوم بمساعدتي ، فقد لمحني الرئيس وأمر رجاله بإنقاذي ... والغريب أنني لم أكن أشعر بذلك أبدا وأنا في غمرة الحدث الجلل !

ويقول عبده خليل : ذات يوم كنا في بورسعيد .. خرجت بالجماهير الغفيرة لاستقبال الرئيس ... وبينما كنا نقوم بالتصوير فوجئنا بالرئيس يعنف أحد رجال

الحرس لأنه ضرب صبيا صغيراً تعلق بسيارته ... !

ويروي طاهر حفني ... بينما كنا في كوكب الرئيس في إحدى زياراته لمدينة بورسعيد فوجئنا بشخص يلقي نفسه أمام سيارة الرئيس . وهم الحرس بضربه . فأمرهم الرئيس بأن يسمحوا له بالتقدم ....وقف الرجل أمام الرئيس شاكيا سوء الحالة وقلة المال بسبب تعطله عن العمل . أمر جمال عبد الناصر رئيس هيئة القناة بأن يجد له وظيفة في هيئة القناة ... فتهلل الرجل فرحا وهم بالانصراف ولكن الرئيس استبقاه معه في سيارته ليتناول طعام الغذاء معه !

ويقول أنور سعيد : كان الرئيس في طريقه إلى مرسي مطروح عبر الطريق الصحراوي من الإسكندرية . وفجأة وقفت سيارة الرئيس أمام سيدة عجوز من البدو كانت تشير للسيارة ... دعاها الرئيس للركوب في سيارته وأخذ يتحدث معها في شئون البدو ويطمئن منها على أحوالهم ... وهي لا تعرف من الذي يتحدث معها .

ويقول أميل كرم : ذات يوم كنت أقوم بتصوير صائب سلام والرئيس يستقبله بالقصر الجمهوري ... وفجأة دوى صوت انفجار يشبه صوت إطلاق الرصاص لقد انفجر الكابل الخاص «بالفلاش» الذي أحمله . ومرة أخرى ضحك الرئيس وقال مداعبا «تاني يا أميل ؟ ... لازم أنت محسود خللي حد يبخرك ».

الفهرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة